ارشاد الحائرين

لمؤلفه

* الفقير الى ربه ابراهيم بن الحاج عبسى القراري *

حرسه الله

﴿ حقوق اعادة الطبع محفوظة للمؤلف ﴾

سنة ١٣٤١ — ١٩٢٣

مطبعة العرب بتونس نهج السيدة عجولة

حمداً وصلاة وسلاماً

اهداء الكتاب

الى ذلك العالم العظيم البحر الزاخر قطب الأئمة شيخنا [محمد بن يوسف الطفيش] والى روحه الطاهرة التى ترفرف فى روضات العليين أهدى كتابى هذا وأقدمه اليه كعصارة تلميذ الى أستاذه اعترافاً بجميله وفضله جازاه الله عنا وعن الاسلام خيراً .

ابراهيم بن الحاج عبسى

539

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

نحمدك اللهم يا من ملأت قلوبنا بالنور والايمان * والهمتنا خدمة الدين والعلم والعرفان * وفقتنا الى اصلاح حالة الدارين * لنفوز بفضلك واحسانك بالسعادتين *

ونصلي ونسلم على نبيك سيدنا محمد الذي بعثته لسعادة البشر رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه الذين اناروا العالم بنوره وأنقذوه بفضله من الضلال المبين .

﴿ وبعد ﴾ فان الاديان والتعاليم والمذاهب والمشاريع والمبادي والفكر في ابان بروزها لابد أن تعترضها في سبيل نموها عقبات وعراقيل . وتلاقيها في طريق سيرها نكبات وحوادث . وتعوقها عن النهوض والاندفاع الى الامام أشراك الدسائس وفخاخ الاغراض . ولا تتخلص من مشكلة الا وتلاقيها أخرى ولا تتخطى رقبة عقبة الا وتعارضها مثلها ولا تزال كذلك تتقاذفها الحوادث وتترامى بها النكبات . وتتناولها أقلام الانتقادات . وتلوكها السنة الاعتراضات حتى تحل من القلوب محل الاعتقادات . وتتغذ من النفوس مكانا فسيحا . فيتلقاها العموم كقضية مسلمة . وتتوارثها الاجيال المقبلة كعقيدة .

فتلك النكبات والاعتراضات لا تعد في الواقع عائقة لها ولا قادحة فيها أو حجة عليها وانما هي في الحقيقة سقي لها وغذاء لنموها .

فكل مشروع لم ياخذ حظه من التمحيص والنقد كان مآله ولا محالة الاضمحلال والزوال . وهي كالاطفال الصغيرة منذ ولادتهم تنتابهم من العلل والامراض والاسقام ما ينتابها فلا يبرءون من علة الا ويصابون بمثلها وهكذا حتى تاخذ اجسامهم خطة مستقيمة في الصحة والابلال .

الا ان المتكفلين بهم هم الآباء والاوصياء . والقائمين بالاولى هم الانبياء والرسل والزعماء والمصلحون فهم لها كالاباء للاولاد . ولا يكونون حقيقة كذلك حتى يكونوا من ذوي الاخلاص والصبر والثبات والصدق والعزيمة والارادة ليتمكنوا بذلك من تربيتها وتذليل ما يعترض امامهم في سبيل حياتها من العقبات والعراقيل . فيتخطوا بها رقابها من غير التفات للوراء الى ضجيج المشوشين . وجلبة المثبطين . وضوضاء المفسدين وغيرهم ممن لا عيشة لهم الا في موتها ولا موت لهم الا في معيشتها . ويجتازوا بها هضباتها حتى يبلغوا بها المبتغى . والا كانوا معها مضغة الافواه وهدفا للسخرية فيذهبون ضحية الدسائس والمكر والخديعة .

يزهد الغرضون العامة في كل مشروع اصلاحي يبرز تارة باظهاره لها في مظهر الافساد . وطورا بتصويره في صورة مضرة بالدين او عديمة الفائدة وحيناً بأن فيه خطراً على نفوذهم . وأحياناً بأن فيه روحاً أجنبية والحقيقة

بخلاف ذلك كله . واذا لم يجدهم لا ذا ولا ذاك التجأوا الى بث سموم النفرة بين القائمين به . واخيرا بتوعدهم ان امكن بالانتقام والعقاب الصارم .

أما الذكاء الوقاد فيتفطن لجميع ذلك . والعزيمة الراسخة تسخر من هاته السخافات. والارادة القوية تتغلب على هاته العراقيل فتسفر النتيجة عن مشروع هائل قوي الاركان ثابت البنيان . ترتعد منه فرائص الخيانة والظلم والعدوان .

ولما كان مشروع « نهضتنا العلمية » من جملة تلك المشاريع قد اعترضته مثلها في سبيل سيره بعض عقبات وأثار له بعض المشاغبين نوعا من العراقيل باسم الدين كان من الواجب علينا خدمة للدين والعلم والوطن تذليل تلك العقبات وازاحة تلك العراقيل من طريقه حتى يجري مجراه الى ان يبلغ بحول الله غايته ومنتهاه — تحريرا فى ٢٥ ربيع الانور ١٣٤١ بتونس —

ابراهيم بن الحاج عيسى

مقدمة

١ حاجتنا الى العلوم — كانت أمتنا الكريمة كغيرها من الامم في سالف الازمان في انزواء وبساطة حيث كانت رغائبها قليلة ومطالبها ضئيلة وكان يكفيها من العلم ما يلايم حالتها الدينية والقومية ولما ترافق العالم بمواهبه المادية والادبية وربط الشعوب والامم بعضها ببعض اخذت تنحل من عقالها شيئا فشيئا جريا مع التطور الاجتماعي وطفقت تنتشر في البلاد

بدافع التكسب وضرورة الاسترزاق لعول ذلك الوطن القاحل . ولكن لم يتسن لها الدخول في هذا المعترك الحيوي بغير سلاح العلم والعرفان اذ الداخل فيه بدونه كالداخل في الميدان الحربي وهو اعزل .

٢ تاريخ نهضتنا العلمية — لما اتسعت رغائبها وكثرت مطالبها وكان رجوعها الى الحالة الاولى من البساطة مستحيلا ودخولها في ذلك الميدان المتماوج بالعلوم وهي عزلاء مهلكا لها ومبيدا لبقيتها الباقية ولم تكن كل العلوم وكل المدارس تعطيها سلاحا تنال به بغيتها فى ذلك الميدان مع المحافظة على دينها المقدس وروحها المية وعوائدها القومية — فكر بعض المصلحين من ابنائها في شان ذلك مدة مديدة واخيرا رأوا انه لا يجدون بغيتها الا في المدارس القرآنية الاهلية وصادف اذ ذاك ان بعض الوطنيين الاحرار توفق لفتح مدرسة قرآنية اهلية ببلد تبسة في سنة ١٩١٣ فأودع اولئك فيها بعض ابنائهم ولكن لم تلبث ان قضي عليها بالوأد بعد مضي نحو ستة اشهر من ولادتها لاسباب نجهلها .

ولم يثن ذلك من همة اولئك المخلصين بل بادروا مواصلة لعملهم المبرور الى ارسال اولادهم الى «تونس» في ماي سنة ١٩١٤ فأودعوهم بعض المدارس النظامية الاهلية وظهر فيهم نبوغ وذكاء ولكن لم تساعدهم الظروف للاقامة الى ان يبلغوا امنيتهم بل رجعوا الى بلادهم في اول ابريل سنة ١٩١٥ فانقطع الشروع بذهابهم.

ثم انه تجدد في اول جانفي سنة ١٩١٧ رغم العراقيل والعقبات بارادة قوية وعزيمة راسخة . ومن ذلك الحين أخذ بعض ذوي العزم والنشاط يردون على الديار التونسية زرافات ووحدانا كبارا وصغارا منهم من يؤم الجامع الاعظم لتكميل معلوماته . ومنهم من يؤم بعض المدارس القرآنية الاهلية مع مراقبة اتم وحراسة احكم من مراقبة وحراسة الامهات والاباء والاساتذة هناك في بلادهم .

٣ الفنون التي يزاولونها — اما (الكبار) فانهم يزاولون في الجامع الاعظم الفنون الآتية : التفسير . الحديث . الاصول . البلاغة . النحو . الصرف . المنطق . آداب البحث . وهؤلاء قد يزاولون في المدرسة الخلدونية ما ياتي : الانشاء . التاريخ . الجغرافية . مبادي الهندسة . الحساب ـ مكاييل ومقاييس . مبادي الطبيعة . مبادي الكيمياء . اللغة الفرنسية .

واما (الصغار) فيزاولون في المدرسة النظامية ما ياتي : قراءة القرآن حفظاً وتكراراً . حفظ الحديث الشريف . الآداب الاجتماعية . الادب العربي من نحو وصرف وانشاء . دروس الاشياء . مبادي الجغرافية . الحساب التاريخ . الرسم . اللغة الفرنسية .

هذا زيادة عما يزاولونه في ديارهم من العقائد والفقه عند الثقاة الامناء من رفقائهم .

٤ وظيفة الرفقاء هي ما ياتي : القاء دروس عليهم في العقائد والفقه

الاباضي يوميا كما قدمنا . تفقد كراريسهم ودروسهم المدرسية . مراقبة احوالهم الدينية العملية . ضبط سيرتهم وتقويم اخلاقهم واصباغهم باصباغهم الملية . المحافظة على حالتهم الصحية والاقتصادية . ادارة شؤونهم المنزلية الخ هذه وظيفتهم الاصلية . ولئن قصر احد فيها او خالفها او جرى على نقيضها فهو مسئول وحده عن ذلك والباقون برءاء منه ولا يمس سلوكه بهيكل المشروع نفسه .

٥ ماذا كانت النتيجة ؟ — اخذ يظهر بعد ذلك من التلاميذ نبوغ وذكاء وتربية وتهذيب وءاداب ونضوج فكرة وتثقف عقل واتساع مدارك وتفنن في العلوم فبدأت تتكون من ذلك طبقة مستنيرة اخذت تظهر بها لشعبنا النبيل حياة جديدة وحركة فكرية وروح ملية لم يكن ليحلم بها من قبل والله يعلم ماذا يكون مئاله بها واين تبلغ به من العز والمكانة اذا امد الله في عمرها .

٦ ماذا أريد في مقابل هذا كله ؟ — كان في مقابل ذلك ما ستسمعه وتراه . من السنن الالهية في الكون ان جعل في كل امة من الامم وفي كل شعب من الشعوب في اي مكان وفي اي زمان مصلحين ومفسدين .

فالاولون يجددون حياة الامم والشعوب فيهذبون من القديم ما امكن تهذيبه ويضيفون اليه من الجديد ما ناسب ذوق امتهم وروحها الملية حسبما وصل اليه الرقي البشري والتطور الاجتماعي فتعيش امتهم وماء الحياة النضرة تترقرق في وجهها

والاخرون يزيدون الامة موتا على موت فيشوهون القديم ويلصقون به ما وافق اهواءهم وان كان قشورا ويسلخون منه ما لا يوافقهم وان كان لبابا . ويحاولون خنق انفاس الجديد وقتله وان كان اساس عزهم وسعادتهم . فتراهم يعاكسون سير تيارات التطور العصري صالحه وفاسده ظنا منهم « وما كل ظن يصايب » ان القديم مهما تكن صبغته هو الدين هو الحق هو الصلاح . وان الجديد مهما كانت حالته هو الكفر هو الباطل هو الفساد !

وان استعمال العقل فيما خلق لاجله من التمييز بين الصلاح والفساد والبحث والتنقيب لاستخراج الفوائد لمنفعة الامة انما هو فلسفة ممقوتة .

وكان النصر في النهاية حليف الاولين وان كانوا اقل من القليل على الاخرين وان كانوا اكثر من الكثير لان اتجاه تلك التيارات مساعد للاولين على الاندفاع الى الامام ومعاكس للاخرين عن الرجوع الى الوراء .

من بين تلك الامم « امتنا النزابية » العزيزة فقد من الله تعالى عليها بمصلحين ضحوا لاجلها كل مرتخص وغال في سبيل تحصيل ما يعود عليها بالعز والاسعاد فكان من جملة اعمالهم ما اسلفنا ذكره . كما ابتلاها سبحانه لحكمة بالغة ببعض الجامدين يحاولون قتلها واماتها بسلاح الدين واسم المصلحة .

لما رأى ذلك البعض من نهضتنا العلمية المباركة السالفة الذكر اثمارا تنضج ونتائج تخرج وكواكب تلمع وبدورا تسطع توجس منها خيفة على الدين

والوطن في زعمه وعلى مركزه ونفوذه في نفس الامر والواقع فاتخذ من بعض اعوانه جواسيس يتلفقون له بعض السفاسف والترهات ضد تلك النهضة ليستعملها كسلاح لخنق انفاسها وقتلها . فلما تجمعت لديه مجموعة منها رفع عقيرته بها لتشويهها للعموم وتصويرها لهم في ابشع صور واظهارها في مظهر الافساد الديني والقومي شان كل مغرض فبالغ في التقبيح لها والتنديد عليها في مجالسه الخاصة والعامة مباشرة وبوسايط كلما سنحت له في ذلك فرصة .

والقائمون بهذه النهضة كلهم سكوت لم ينبسوا ببنت شفة تاركين الجواب عنه الى ما ستسفر عنه الايام من النتايج والثمرات .

ولم يزده ذلك الا اندفاعا في الطعن والشتم والسباب باسم خدمة الدين ومصلحة الامة فالقى درسا في الموضوع في ملاء من الناس ليلة ٢٩ رمضان المعظم سنة ١٣٤٠ تحت عنوان الآية الكريمة .

« يا ايها الذين امنوا قوا انفسكم واهليكم ناراً » ففسرها بما شاء وشاءت له الاغراض ضد تلك النهضة المباركة وبلغ به الهوج الى ان حكم بالكفر والضلال على كل من العلم والتلميذ والوالد والقيم الخ فضاقت الناس ذرعا من هذا السلوك الاعوج فعند ذلك كتب بعض الوطنيين فصلا وجيزا في جريدة « الاقدام » الغراء عدد ٨٥ المؤرخ في ٣٠ جوان ينتقد عليه شيئا من هذا المسلك الفاسد بصورة توخز الضمائر الطاهرة وتردع النفوس الجامحة مع التحاشي التام عن ذكر اسمه شفقة عليه معتمدا فيه على بسط الحجة والبرهان .

وبمجرد ما وصل اليه كتب عليه رسالة طويلة تحت عنوان

* كشف اللثام عن اغراض بعض اللئام *

كشف بها اللثام عن وجهه وبين بها للناس انه المعني بذلك الفصل بعد ان لم يعلموا منه انه المقصود به . وقد بداها بالسباب وختمها بالثلب وحشاها بالكذب والفحش والبهتان بصورة تمجها الاسماع وتنفر منها الطباع

واكثر فيها من اللغو واللغط ما يتحاشى عنه الصبيان . والصق بنهضتنا والقائمين بها ما هي وهم برءاء منه مما لا يلصق الا بالفساد والمفسدين والكفر والكافرين حسدا من عند انفسهم من بعد ما تبين لهم الحق .

وسنأتي على بعض نقط منها ردا وتفنيدا رفعا للبس وخدمة للحق وايضاحا للحقيقة . ونكل ما يبقى لبداهة القاري الكريم راجين من الله سبحانه التوفيق والسداد لخدمة البلاد والعباد .

بيت القصيد

اغلاطه ودفعها — قال « كشف اللثام عن اغراض بعض اللئام » ان من تامل في مجرد هذا العنوان يعلم ما عليه الرجل من الادب العربي والاجتماعي.

فاما العربي فان الاولى والاجدر بالكاتب ان يجعل العنوان مما يجتذب القلوب ويرغب النفوس لا ما ينفر الطباع ويقرع الاسماع .

ثم ان اللئام ان قصد به اولئك المنتقدين لسلوكه المصاحين الناهضين فلا تساعده اللغة . وان قصد به البخلاء العديمي الاصل المتهنين خرج عن الموضوع ولا يكون العنوان مطابقا لرسالته .

واما الاجتماعي فان من شان قادة العلماء العاملين النصح والارشاد اولا لا المباداة بالغمز واللمز والشتم . ومخالفته هو لهذا المبدا السامي انتج له عكس المقصود فقد كشف برسالته عن اغراضه وعيوبه للخاص والعام .

ثم ان وصفه بانه « قدوة العلماء العاملين . داحض شبه المبطلين المقتفي سيرة السلف الصالحين الاستاذ الخ » ينافي تمام المنافاة ما عليه الرسالة من الخطا والخطل فمتى قابلت ما بينهما تحكم بداهة بان الموصوف بتلك الاوصاف يستحيل ان يكتب تلك الرسالة وان كاتبها يستحيل ان يكون متصفا بتلك الاوصاف اللهم الا على حد قولهم « انف في السماء واست في الماء » وحاشا قادة العلماء العاملين ان يكونوا سابين فحاشين صخابين وهم ورثة الانبياء. معاذ الله ان يكون المقتفي سيرة السلف الصالح كذابا مفسدا فان كان قدوة العلماء العاملين المقتفي سيرة السلف الصالحين بهذه المثابة فماذا عسى ان يكون المقتدون به.

وفي العبارة كذب ظاهر حيث وصف ذلك الرجل بما لم يكن في نفس الامر والواقع . واهانة كبيرة للعلماء العاملين حيث صار هذا قدوتهم. ووصمة شنعاء في سيرة السلف الصالح حيث جعل من ضمنها سيرة هذا الرجل الذي يعرفه العموم .

وفي وصفه بالعلوي أيهام وتدليس بأنه من نسل « علي بن ابي طالب »
وليس الامر كذلك وانما هو لقب خاص لعائلته التي جنى عليها .

قال : « متشبها بربات الخدور وذوات النقاب » انما تشبه بهن هذا المتطفل على موائد الصحافة اذ اختفى مرارا عديدة وراء تلامذته وكتب تلك المقالات السخيفة التي يزكي فيها نفسه فوق امضا آتهم متغافلا عن قوله تعالى « ولا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى »

قال : قال الله في محكم التنزيل « ولمن انتصر بعد ظلمه فاولئك ما عليهم من سبيل » يوهم بهذا انه مظلوم وللمظلوم ان ينتصر بعد ظلمه وهذا منه تمويه وتضليل يعرف مقداره من يعلم تجاهره بالشتم والثلب ظلما لاعراض الابرياء ووقوفه حجرة عثرة في سبيل الاصلاح . ولو اقتصر على تمام الآية « انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الارض بغير الحق اولئك لهم عذاب اليم » لاصاب المحز .

قال « ان العالم الذي انتفى استواؤه للجاهل هو العالم الذي اورثه علمه الخشية » الخ نحن نوافقه على ذلك ولكنا لا نسلم ان العلم الذي ندعو اليه لا يورث الخشية والقربة الى الله تعلى على ما مر ويأتي .

على انا لسنا في صدد الكلام على افضلية العالم العامل بعلمه على العالم التارك للعمل فان هذا لا يشك فيه اثنان وحمل الكاتب لنا على هذا واستدلاله علينا بأدلة مغالطة وخروج عن الموضوع .

انما كلامنا في بيان افضلية العلم مطلقا على الجهل كذلك . ومن ذا الذي يقول ان العلم والجهل سواء الا من استوت لديه الظلمات والنور فما من علم ردي الا والجهل اردى منه . وعلمك بأن الواحد نصف الاثنين خير من جهلك . والاثم الذي يلحق العالم الذي لا يعمل بعلمه لم يلحقه من العلم نفسه فان العلم في حد ذاته شيء نفيس وضوء يستضاء به وانما لحقه لاسباب عرضية كعدم تمكنه بالنفس ورسوخه بالقلب وكتلقيه على صور مقلوبة او مشوهة الخ

والآية الكريمة لا تمانع افضلية العلم على الجهل بل تساعد على ذلك وحذف المفعول فيها يدل على عمومها وتخصيصها بغير مخصص تحكم . قال البيضاوي في معنى الآية « نفي لاستواء الفريقين باعتبار القوة العلمية بعد نفيها باعتبار القوة العملية على وجه ابلغ لمزيد فضل العلم » اه . وقال الشيخ محمد عبده « العلم جاء ذكره في قوله تعلى * قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون * الآية وهو استفهام انكاري معناه انه لا يستوي عالم وجاهل » اه .

وقال الامام افلح :

العلم علم كفى بالعلم مكرمة * والجهل جهل كفى بالجهل ادبارا

قال « لا العالم بانشاء الشقاشق الهذرية . والتغني بالالحان الشعرية ونحو ذلك من العلوم الدنيوية كما يتوهم فاسد الطوية »

يظهر من عبارة الرجل ان علم التوحيد والتفسير والحديث والفقه وآداب

النفس والاصول والبلاغة والنحو والصرف والشعر والخطابة والتاريخ والجغرافية والطبيعة والكيمياء والحساب والهندسة الخ هي علوم دنيوية وشاشق هذرية . اذا كانت كذلك فما هي علومه يا ترى ؟ هل الجهل بها والعلم باثارة الفتن والتشويش ؟

هذا اذا علم ما يقول والا فهو مجنون فترفع عنه القلم حتى يفيق .

على انه بتلك الشقاشق الهذرية والعلوم الدنيوية انتشر الاسلام الى اطراف المعمور وطار صيته في انحاء العالم ونال من العز والسودد والسلطان ما لم ينله دين

بتلك الشقاشق الهذرية خفقت رايته على قرطبة وغرناطة وفاس وتاهرت والقيروان ومصر ودمشق وبغداد وسمرقند الخ . بتلك الشقاشق الهذرية اعترفت اوربا اليوم بأنها مدينة للاسلام وتلميذة له وان الفضل في مدنيتها الحاضرة كله راجع الى الاسلام . بتلك العلوم الدنيوية اصبحت اليوم تحارب الاسلام وبسلاحه ملكت ناصيته .

بتلك العلوم الدنيوية استولت عليك وعلى بلادك استيلاءً سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وصيرتك عبداً مأسوراً لها مسلوب الحرية التي هي انفس شيء خلقه الله لك وقيدت ارجلك عن السير ويديك عن العمل ولسانك عن النطق بل دخلت حتى في دماغك فحجرت عليه التفكير وفي قلبك فنزعت منه الصدق والاخلاص والغيرة .

وفي نفسك فأزاحت منها العزة والنخوة حتى صيرتك (وانت قدوة العلماء

العاملين) كأنك تتكلم عن لسانها وتعرب عن رغائبها ضد نفسك وامتك ودينك ووطنك وانت مع هذا تحسب انك تحسن صنعا ولو قدرت قيامك نحوها بالجميل حق قدره لقلدتك نيشان الافتخار عما قمت به من الدفاع عن مصالحها ضد دينك ووطنك فتبا لك ايها الخائن الخبيث .

انها بتلك العلوم الدنيوية عطلت لك ركنا من الاركان الخمس واباحت لك من المحرمات ما لا قبل لك على دفعها الا بتلك العلوم الدنيوية (ايها الزاهد الناسك) ويعلم الله ماذا يكون بعد .

بترك تلك العلوم وحذفها من قاموس الاسلام ضيعت ما شيده لك اسلافك الكرام من ذلك المجد والعز والسلطان حتى صرت في بلادك التي ورثتها منهم كغريب في بلاد الناس وكمشة لا يؤبه بها ونزلت بك نفسك الخسيسة الى الحضيض حتى هان عليك عند طلب حق شرعي ان تكون كالمتسول الذل وتعبر بلفظة الخدام والابناء والمخلصين « ايها المقتفي آثار السلف الصالحين »

فاذا حيلتك ايها الابله تجاه تلك الاخطار المحدقة بك وبدينك وبلادك وامتك ؟ هل يغنيك في دفعها مجرد العكوف والقنوت ؟ ام يسوغ لك الدين الذي يانف من الخضوع لغير سلطته ويامر بمزاحمة مناويه ويقول « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة الاغضاء والسكوت .

ان القيام باركان الدين والامر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب

ولا يتم هـذا الا بتلك العلوم وما لا يتم الواجب الا به فهـو واجب .

اذا كان من يرى وجوب تلك العلوم فاسد الطوية فمن هو صافيها ياترى ؟ هل هو الخائن لدينه ووطنه الراضي بافسادهما وخرابهما المستكن الخاضع وحرمات دينه تنتهك وحقوق امته تهضم وشرفها يداس .

قال « قال الكشاف الخ وقال فيه ايضا ويجوز ان يرد على سبيل التشبيه اي كما لا يستوي العالمون والجاهلون كذلك لا يستوي القانتون والعاصون اه

وقال استاذنا قطب الايمة رحمه الله في التيسير « قل هل يستوي الذين يعلمون يدركون الحق فعملوا به فلزموا الطاعات وخافوا العقـاب على التقصير ورجوا الرحمة « والذين لا يعلمون» لا يدركونه فعملوا بجهلهم وهواهم الخ .

قال « لا ريب فى ان العلم المحمود الميمون على صاحبه فى اليوم المشهود هو العلم النافع وهو علم المعاملة مع الله قلبا وقالبا » ان اراد هذا المخذول بعلم المعاملة مع الله قلبا وقالبا علم المناجاة باعراض الابرياء والتسبيح والتقديس باسماء الخونة والسفهاء فذلك مما لا يقول به عاقل وان اراد به علم التوحيد والتفسير والفقه وعلم النفس وفلسفة الاخلاق والاجتماع والبحث فى نواميس الكون والعمران وغير ذلك مما يربى فى النفس عظمة الله تعالى وجلاله وكماله ويصرفها عن الخضوع لغير الله والاستكانة لسواه فهذه انشودتنا وضالتنا واليه ندعو وعليه نحيي ان شاء الله ونموت . فاذا كانت فى نظر الرجل هذه ضلالة فنسأله تعلى ان يزيدنا منها .

قال « لا ما يتخيله هذا الضال من علوم الفلسفة التي تضرهم فى دينهم او

تشغلهم عما يعنيهم » ماذا يعني بعلوم الفلسفة التي تضر بالدين او تشغل عما يعني هل ما يؤدي الى الكفر والالحاد والزندقة والقول بالتثليث وتحليل ما حرمه الله وتحريم ما احله الله وما يؤدي الى الاشتغال بالجدل والسفسطة وقلب الحقائق والتلبيس والتغرير ؟ ان هذا غير موجود عندنا البتة ولا يقوله فيما نزاوله الا مختل العقل فاسد الطوية

ام يعني بها ما ذكرناه آنفاً من البحث عن سير النهوض والاجتماع والنظر في الكون ودرس تاريخ الاسلام واظهار عظمته ومزاياه وبيان تعاليمه الصحيحة وحكم تشاريعه وتشريح احـوال النفس الفردية والاجتماعية حتى يعرف الانسان ما له وما عليه من الحقوق والواجبات نحو الله والناس والنفس في المعاش والمعاد ؟

وهذه مما ينعش روح الدين والاجتماع والاشتغال بها امر واجب لا انها مضرة بالدين او اشتغال بما لا يعني . وانما يضر به الجهل بها والاشتغال عنها بالسفاسف ولا يخاف منها ويخوف الا من كان متزلزل العقيدة غير راسخ فيها فيشمئز منها لاقل نسمة تهب .

ونحن لا نزال نتعشق امثال هذه الفلسفة ونطلبها كما تعشقها وتطلبها من قبلنا من اولئك الفطاحل الفحول فلاسفة المشرق والمغرب حجة الاسلام الغزالي ومنار الدين الشيخ اسماعيل الحيطالي والرياضي الكبير المؤرخ الشيخ ابي يعقوب يوسف بن ابراهيم واضرابهم .

ونحن نأسف على ضياعها وتلاشيها من بين ايدينا واختصاص الاجانب بها دوننا الا النزر اليسير . فان كانت فلسفة هؤلاء الفحول عند هذا الجاهل بعلوم اسلافه مضرة بالدين او مشغلة عما يعني فماذا ينفع الدين او يشتغل به ؟ هل جمود العقل وخمود الفكر والكسل والبطالة ؟

وبماذا انتشر هذا الدين في الكرة الارضية ورسخت جذوره في اعماق القلوب المتناهية واظلت اغصانه ملايين النفوس فيما بين جدران الصين الى ما وراء جبال البيرينات ؟ ابالاخلاد الى الارض والركون الى السكون ؟ كلا والف كلا !!

قال « كما ان الجهل الوارث للشقاء والموت هو جهل المرء لما عليه من العبادات وما يحتاج اليه من المعاملات » نعم نحن لا نعني به الجهل بعلم السحر والطلاسم والرمل ونحو ذلك (وقد قالت العلماء فيه ما قالوا) وانما نعني به جهل المرء لما عليه من العبادات وما يحتاج اليه من المعاملات لا غير فكل ما لا تتم عبادة المرء الا به وكل ما لا تحصل المعاملة المحتاج اليها الا به فعلمه حياة وسعادة وجهله موت وشقاء .

قال ابو الفضل البرادي رحمه الله في البحث الصادق والاستكشاف : « وانما جعل سببها (اي السعادة) العلم لان العلم حياة والجهل موت والعالم حي والجاهل ميت قال الله تعالى « وما يستوي الاحياء ولا الاموات » قال بعضهم الاحياء العلماء والاموات الجهلاء وقال لقمان لابنه : ان الله يحي القلوب بنور

الحكمة كما يحي الارض بوابل السماء . والعلم فوز والجهل خسران وحرمان والحرمان شقاء وهو نقيض السعادة والعلم انما هو سبب السعادة والسعادة هي رضى الله تعالى عن العبد ولا يكون الرضى الا بالطاعة ولا سبيل الى عمل الطاعة الا بالعلم » اه .

وبيان ذلك انه اذا بلغ الصبي الحلم وجب عليه توحيد الله تعلى ووصفه بما يليق به وتنزيهه عما لا يليق واداء ما حل وقته من الفرائض ولا يتسنى له هذا الا بمعرفة اركانه وشروطه ووظائفه الخ وهذا من اين يعلمه اذا لم يتعلم القراءة والكتابة والعلوم العربية حتى يمكن له فهم كلام الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

ثم انه يحتاج لتقويم اود حياته الى معاملة الناس ومخالطتهم فيلزمه معرفة كيفية المعاشرة ولا تمكن له الا بتربية النفس وتهذيب الاخلاق وتثقيف العقل وكيفية المعاملة ولا تتسنى له الا اذا عرف العلوم الاقتصادية، الفلاحية منها والصناعية والتجارية كعلم البيع والشراء وضبط النظامات المالية كالحساب والهندسة والمكاييل والمقاييس والجبر والجغرافية واللغات الخ وكعلم الميكانيك وعلم الطب وما يتركبان منه من الطبيعة والكيمياء والتشريح الخ .

فاذا كبر صار ابا عائلة او عشيرة او بلدة او امة فيحتاج لتدبير شئون من لنظره وسياسته ولا يمكن له هذا الا اذا مارس علم الاحكام ودرس علم التاريخ وسبر احوال الامم رقيها وانحطاطها نهوضها وسقوطها الخ .

فهذه العلوم كلها مما تحتاج اليه الامة ولا تقوم حياتها اذا ارادت الحياة الا بها وكل ما يحتاج اليه فعلمه سعادة وحياة وجهله شقاء وممات وقد قسم علماء التربية والاجتماع عمر الانسان الى ثلاثة ادوار .

«الدور المنزلي» وهو من يوم ولادته الى ست سنين وله نظامات وواجبات ذكرها علماء هذا الفن في محلها ولا يسعنا ذكرها هنا .

« والدور العلمي » من ست سنين الى احدى وعشرين سنة وله نظامات وتراتيب ذكرت ايضا في محلها .

« والدور العملي » او دور الجهاد وهو من احدى وعشرين سنة الى ما بعد وتاخير طلب تلك العلوم عن وقته الى وقت العمل كتاخير الحرث الى وقت الحصاد أوتاخير العمل اليوم الى يوم الجزاء . وقد اثبت البحث والتجربة فساد هذه الطريقة .

ويتبادر من ذلك الرجل انه لم يفهم لهاته العلوم مغزى ولم يفقه لها معنى ولم يدرك ما هي فوائدها في الدين والدنيا وما هو تاثيرها في الافراد والامم ؟؟ ولو انصف انصاف علماء الاخرة لكفاه ما قاله الشيخ اسماعيل رحمه الله في القناطر صفحة ٦٦ من الجزء الاول نقلا عن حجة الاسلام الغزالي ما نصه :

« وبيانه ان مقاصد الخلق مجموعة في الدين والدنيا ولا نظام في الدين الا بنظام الدنيا لان الدنيا مزرعة للاخرة وهي العطية والآلة الموصلة الى الله لمن اتخذها آلة ومطية . ومنزل لمن اتخذها مستقرا ووطنا وليس ينتظم امر

الدنيا الا باعمال الادميين . وحرفهم وصناعاتهم تنحصر في ثلاثة اقسام :

احدها — اصول لا قوام للخلف الا بها وهي اربعة .

احدها الزراعة للمطعم . والثاني الحياكة وهي للملبس . والثالث البناء وهو للمسكن . والرابع السياسة وهي للتاليف والاجتماع والتعاون على اسباب المعيشة وضبطها .

الثاني — ما هي مهيئات لكل واحدة من هذه الصناعات وخادمة لها كالحدادة تخدم الزراعة وجملة من الصناعة . وكالحلاجة والغزل فانها تخدم الحياكة باعداد عملها .

الثالث — ما هي متممة للاصول ومزينة كالطحانة والخبز للزراعة وكالقصارة وكالخياطة للحياكة .

وذلك بالاضافة الى قوام الحيوان الارضي مثل اجزاء الشخص بالاضافة اليه فانها ثلاثة : اما اصول — كالقلب والكبد والدماغ . واما خادمة لها — كالمعدة والعروق والشرايين والاعصاب . واما مكملة لها ومزينة — كالاظفار والاصابع والحاجبين .

واشرف هذه الصناعات اصولها واشرف اصولها السياسة بالتاليف والاستصلاح . ولذلك يستخدم لا محالة صاحب صناعة السياسة سائر الصناع والسياسة في استصلاح الخلق وارشادهم الى الطريق المستقيم المنجي في الدنيا والاخرة تنقسم على اربعة مراتب .

الاولى — وهي العليا سياسة الانبياء صلوات الله عليهم اجمعين . وحكمهم على الخاصة والعامة في ظاهرهم وباطنهم .

الثانية — سياسة الخلفاء والملوك والسلاطين . وحكمهم على الخاصة والعامة لكن على ظاهرهم لا على باطنهم .

الثالثة — سياسة العلماء بالله عز وجل وبدينه الذين هم ورثة الانبياء . وحكمهم على باطن الخاصة فقط ولا يرتفع فهم العامة الى الاستفادة منهم ولا تنتهي قوتهم الى التصرف في ظواهرهم بالالزام والمنع .

الرابعة — سياسة الوعاظ . وحكمهم على بواطن العوام فقط .

واشرف هذه السياسات الاربع بعد سياسة النبوة افادة العلم وتهذيب نفوس الناس عن الاخلاق المذمومة المهلكة وارشادهم الى الاخلاق المحمودة السعيدة المنجية وهو المراد بالعلم اه .

فلو يتدبر ذلك الرجل ما ذكر ويعمل به ليجد نفسه يقول بما نقول ويعمل بما نعمل . ولكن قاتل الله الاغراض الخبيثة فانها تسدل عن الابصار والبصائر حجبا كثيفة تحجز عن ادراك الحقائق الناصعة كما هي عليه .

قال « قال ابن الاثير اراد بصرف الحديث ما يتكلفه الانسان فيه على قدر الحاجة . وانما كره ذلك لما يدخله من الرياء والتصنع ولما يخالطه من الكذب والتزيد » ينطبق هذا وما بعده على من كتب ما يزيد عن اربعة عشر صحيفة مملوءة كذبا وبهتانا ولغوا ولغطا لا على من كتب مقدار

صحيفة واحدة مدعمة بحجج وبراهين وخالية مما حشا به رسالته .

قال « قال شارح الاحياء كل علم لا يوافق الكتاب والسنة وما هو مستفاد منهما او يعين على فهمهما او يستند اليهما كائنا ما كان فهو رذيلة الخ » هذا حجة لنا عليه لا له فان جميع ما ذكرناه من الفنون التي نزاولها لم تخرج عما ذكره شارح الاحياء بل كلها موافقة له .

ومن تتبع القرآن الكريم والسنة النبوية وآثار السلف الصالح يجدها توجب او تحث على مزاولة تلك العلوم .

اولم يبين لنا المولى جل وعلا مزية التاريخ وفضله حيث جعله مثبتا لفؤاد رسوله (وهو من هو) اذ قال « وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك » الآية . وقال ايضا « لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يومنون » ؟

اولم يحض سبحانه على النظر في الملكوت والبحث في فلسفة الكون اذ قال « قل انظروا ماذا في السموات والارض وما تغني الايات والنذر » الآية . وقال « اولم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض » وقال « وكاين من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون » الى غير ذلك من الآيات الكثيرة ؟

اولم يحثنا تعالى على تعلم علم اوصاف الارض وما عليها (الجغرافية) مشاهدة

لا كتابة اذ قال « افلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها او اذان يسمعون بها فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور »

وقال في معرض بيان قدرته تعلى وعظمته « وهو الذي مد الارض وجعل فيها رواسي وانهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون وفي الارض قطع متجاورات وجنات من اعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون » الى غير ذلك من الآيات الباحثة عن وصف الارض وما عليها من الحيوان والنبات والجماد والمياه ؟

اولم يرشدنا الى تعلم الحساب وضبط شئوننا واحصائها اذ قال « هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب »

وقال « قد علمنا ما تنقص الارض منهم وعندنا كتاب حفيظ ». وقال « يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها » ؟

اولم يرشدنا الى تعلم الهندسة اذ قال « وكل شيء عنده بمقدار » ؟

اولم يحرضنا على درس طبائع الاشياء اذ قال « افرأيتم ما تمنون ءانتم تخلقونه ام نحن الخالقون » الآيات . وقال « وهو الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا » الآية ؟

اولم يلهمنا الى دراسة علم تحليل المواد وتركيبها اذ قال « وجعلنا من الماء كل شيء حي » ؟

اولم يصدق من يقول « من تعلم لغة قوم أمن مكرهم الخ الخ .

اهذه النصوص وامثالها تعد رذيلة « استغفر الله » وخارجة عن الكتاب والسنة يزداد الانسان باتباعها رذالة في الدنيا وهوانا في الاخرة ؟ لا يقول بهذا (والعياذ بالله) الا الذين « يقولون نومن ببعض ونكفر ببعض » ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا .

قال الشيخ محمد عبده في الجزء الثاني صفحة ٦٧ ما نصه :

« اليس اكبر خذلان للدين وجناية عليه ان لا ينظر المنتسبون اليه في ءاياته التي يوجههم الى النظر اليها ويرشدهم الى استخراج العبر منها ؟ اليس من اشد المصائب على الملة ان يهجر رؤساء دين كهذا الدين العلوم التي تشرح حكم الله وآياته في خلقه ويعدوها مضعفة للدين او ماحية له خلافا لكتاب الله الذي يستدل بها ويعظم شان النظر فيها . بلى وانهم ليصرون على تقاليدهم هذه وليس عليها حجة . وانما اتبعوا فيها سنن قوم ممن قبلهم وكان بعض الحكماء المتأخرين يقول كلمة في اهل دينه الذين خذلوه :

« هكذا شان اهل الاديان كافة كانهم تعاهدوا جميعا على ان يكون سيرهم واحدا » وهذا المعنى ماخوذ من قول الله تعلى في الكافرين يتفقون في كل امة على الطعن في نبيها « اتواصوا به بل هم قوم طاغون »

وقد يزعم بعض هؤلاء الذين يعادون علم الكون باسم الدين ان النظر في ظواهر هذه الاشياء كاف للاستدلال بها ومعرفة آيات صانعها وحكمته ورحمته.

فمثلهم كمثل من يكتفي من الكتاب برؤية جلده الظاهر وشكله من غير معرفة ما اودعه من العلم والحكمة . نعم ان هذا الكون هو كتاب الابداع الالهي المفصح عن وجود الله وكماله وجلاله وجماله والى هذا الكتاب الاشارة بقوله تعلى « قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا » وبقوله « ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله » فكلمات الله هي آحاد المخلوقات والمبدعات الالهية فانها تنطق بلسان افصح من لسان المقال . لكن لا يفهمه الذين هم عن السمع لمعزولون وللعلم معادون . الواهمون ان معرفة الله تقتبس من الجدليات النظرية والاقيسة المنطقية دون الدلائل الوجودية الحقيقية ولو كان زعمهم حقيقة لا وهما لكان الله سبحانه استدل في كتابه بالادلة النظرية الفكرية وذكر الدور والتسلسل وغير ذلك من الاصطلاحات الكلامية ولم يستدل بالسماء والارض والليل والنهار والفلك والمطر وتأثيره في الحياة وغير ذلك من المخلوقات التي ارشدنا القرآن الى النظر فيها واستخراج الدلائل والعبر منها .

الا ان لله كتابين كتابا مخلوقا وهو الكون . وكتابا منزلا وهو القرآن وانما يرشدنا هذا الى طرق العلم بذاك بما اوتينا من العقل فمن اطاع فهو من الفائزين ومن اعرض فاولئك هم الخاسرون » اه .

وقال ايضا بعد ذلك « لا يسمح الدين للناس ان يتركوا الحرث والزرع

ويدعوا الله ان يخرج لهم الحب من الارض بغير عمل منهم اخذا بظاهر قوله * ام نحن الزارعون * وانما يهديهم الى القيام بجميع الاعمال الممكنة لانجاح الزراعة من الحرث والتسميد والبذر والسقي وغير ذلك وان يتكلوا على الله تعلى بعد ذلك فيما ليس بأيديهم ولم يهدهم لسببه بكسبهم كانزال الامطار واقاضة الانهار ودفع الجوايح

فان استطاعوا شيئا من ذلك فعليهم ان يطلبوه بعملهم لا بالسنتهم وقلوبهم مع شكر الله تعلى على هدايتهم اليه واقدارهم عليه .

كذلك يحظر الدين عليهم ان ينفروا الى الحرب والمدافعة عن الملة والبلاد عزلا او حاملي سلاح دون سلاح العدو المعتدي عليهم اتكالا على الله تعلى واعتمادا على ان النصر بيده بل يأمرهم بأن يعدوا للاعداء ما استطاعوا من قوة ويتكلوا بعد ذلك على عناية الله تعلى بتثبيت القلوب والاقدام وغير ذلك من ضروب التوفيق والالهام . فمن قصر في اتخاذ الاسباب اعتمادا على الله فهو جاهل بالله . ومن التجأ الى ما ليس بسبب دون الله فهو مشرك بالله » اه

ولئن لم يقتنع المغرض بتلك الآيات البينات والحكم البالغة فليقتنع بحشره مع المجانين في التكايا .

قال « فلو كان هذا الذي يهتبل (كذا) بكتب مذهبه لكفاه قول الشيخ (اي الشيخ اسماعيل رحمه الله ورضي عنه) في القواعد واعلم ان العلم » الخ نحن لم نخرج عن دائرة قول الشيخ اسماعيل لانه رحمه الله لم يقصد بذينك

النوعين الا ما ذكره الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وسلم وهو عين ما ذكرناه سابقا او لا يزداد العبد بتلك العلوم حبا لله وخلوص ايمانه وقوة يقينه

ولئن رآى الرجل ما ذكرناه آنفا من علوم الدنيا فهي موصلة لعلوم الآخرة ووسيلة لا يستغنى عنها البتة الا الاموات حسبما علمت من كلام الشيخ اسماعيل والشيخ عبده فيما مر . علي ان الشيخ اسماعيل رحمه الله يرى تبعا للغزالي ان الفقه ايضا من علوم الدنيا فقد قال في القناطر في الجزء الاول صفحة ٧٧ ما يلي :

قان قلت فلم الحقت الفقه بعلم الدنيا والحقت الفقهاء بعلماء الدنيا فاعلم ان الله تعلى اخرج آدم من التراب واخرج ذريته من سلالة من ماء دافق فأخرجهم من الاصلاب الى الارحام ومنها الى الدنيا ثم الى القبر ثم الى العرض ثم الى الجنة او النار فهذا مبداهم وهذه غايتهم وهذه منازلهم وخلق الدنيا دارا للميعاد ليتناول منها ما يصلح للتزود فلو تناولها بالعدل لانقطعت الخصومات وتعطل الفقهاء ولكنهم يتناولونها بالشهوات فتولدت منها الخصومات فمست الحاجة الى سلطان يسوسهم واحتاج السلطان الى قانون يسوسهم به . فالفقيه هو العالم بقانون السياسة وطريق التوسط بين الخلق اذا تنازعوا بحكم الشهوات .

فكان الفقيه معلم السلطان ومرشده الى طريق سياسة الخلق وضبطهم لتنتظم باستقامتهم امورهم في الدنيا ولعمري هو متعلق ايضا بالدين ولكن

لا بنفسه بل بواسطة الدنيا فان الدنيا مزرعة للآخرة ولا يتم الدين الا بالدنيا والملك والدين توامان فالدين اصل والسلطان حارس وما لا اصل له فمهدوم وما لا حارس له فضائع ولا يتم الملك والضبط الا بالسلطان وطريق الضبط في فصل الخصومات الفقه فكما ان سياسة الخلق بالسلطنة ليس من علم الدين في الدرجة الاولى بل هو معين على ما لا يتم الدين الا به فكذلك معرفة طريق السياسة .

فعلوم ان الحج لا يتم الا بمذرقة تحرس من العرب في الطريق ولكن الحج شيء وسلوك الطريق الى الحج شيء ثان والقيام بالحراسة التي لا يتم الحج الا بها شيء ثالث ومعرفة طريق الحراسة وحمايتها وقوانينها شيء رابع .

وحاصل فن الفقه معرفة طريق السياسة والحراسة » اه .

واين ذلك الجاهل من هذه التحقيقات وهذه النفائس التي انطوت عليها اسفار اسلافه الكرام ؟ ومن الذي لم يحتفل بهم وبنفائسهم يا ترى ؟ أمن يخضع لاوامرهم وتعاليمهم ويحض عليها ؟ كلا ! وانما لم يحتفل بهم وبكتبهم من يتعامى عن ابحاثهم الدقيقة وآرائهم السديدة وحكمهم البالغة ويحمل اغراضها العالية ومفاهيمها الصحيحة وانظارها الواسعة على فهمه القاصر ونظره الضيق ويصرفها عما توجبه وتحث عليه الآيات الكريمة والاحاديث النبوية وانما لم يحفل بهم من يشح عليهم ولو بذكر اسمائهم تنويها بهم وطلب المغفرة والرحمة لهم مكافاة وشكرا لهم منه على ما يسدونه اليه من الفوائد والفرائد .

قال « ولكن ما الحيلة والرجل لا يرى لسلفه فضلا ولا لكلامهم وزنا ولقد بلغ هو واشياعه في الازدراء بهم الى ان كانوا يتهاونون بقراءة كتبهم » هذا مثله كذب محض يشهد به الواقع فاننا نجل اسلافنا رضي الله عنهم ونعزهم وتتعزز بهم وننوه بشانهم وذكر اسمائهم ونطلب المغفرة والرحمة لهم ونؤيد مباديهم وننشر تعاليمهم وما سعينا كله الا وقف لهم لاحياء مجدهم وخدمة كتبهم وتدوين سيرهم المثلى واعمالهم العظيمة واقتفاء آثارهم الجليلة . ونحن لا نزال منذ نعومة اظفارنا نزاول كتبهم ونتغذى بالبانها ولن نزال بعون الله كذلك نغذي بها ناشئتنا المباركة الى الممات وكيف نتهاون بكتب هي موضوع دراستنا على اختلاف درجاتنا فمن كتاب (اختصار الاديان في تعليم الصبيان) الى كتاب (اركان الاسلام) الى كتاب (الوضع) الى كتاب (النيل) الخ رحم الله مؤلفيها ورضي عنهم .

واما ما نقله عنا ترويجا لبضاعته من لفظة « دعونا من الاوراق الصفر » ومن لفظة « بالله لا تمت فكري » فمحض اختلاق وكذب ونحن لا نعجب من وقوع كذب مثل هذا (فما اكثر الكذب في ايامنا) ولكنا نعجب من صدوره من رجل ينعت بقدوة العلماء العاملين المقتفي سيرة السلف الصالحين العابد الزاهد الناسك الخ .

قال « اقول بعد الاعراض عما في عبارته من الالفاظ الركيكة والمولدة والتراكيب الضعيفة الباردة والمعاني السمجة الفاسدة » يا ليت هذا الكاتب

القدير تفضل علينا ببيان شيء من ذلك حتى نستفيد من عربيته العرباء ما يعصمنا من الوقوع في مثله .

وليت شعري كيف يحصل من مصدر واحد تلك الالفاظ الركيكة والمولدة الخ وتلك الفصاحة والبلاغة التي كان من قبل ينعيها علينا ويورد الاحاديث والشروح في ذمها ويزهد الناس في البيان الذي هو من اول ما نزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في قوله تعلى « اقرا باسم ربك الذي خلق » الآية . وامتن به سبحانه على الانسان في قوله « الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان » وجعله تعلى اكبر معجزة له تحدى بها البلغاء الصاقع . وشهد له صلى الله عليه وسلم بقوله « ان من البيان لسحرا وان من الشعر لحكما » واهدى لاجله بردته لزهير .

ويا ليت هذا الابله احترز في كتابته نفسه عن الركاكة الفاحشة حتى لا يعرض نفسه للسخرية والازدراء .

قال « وهي ادعاؤه ان اسلوب النبي صلى الله عليه وسلم في التعليم » « والصحابة المشاهدين للوحي والتنزيل ومن حادى حدوهم مفضول منحط » « عن درجة الحسن لمضي مقدار عمر نوح عليه السلام عليه وان اتباعهم فيه » « والاقتداء بهم ضرب من الجمود اذ لا ريب ان المعلم الاول ليس الا النبي » « صلى الله عليه وسلم ثم من بعده الصحابة وان اسلوب تعليمهم هو الاسلوب » « القديم الذي مر عليه مقدار عمر نوح عليه السلام قبل المدة التي تنيف على »

« اربعة قرون من عصرنا الخ » ان هذه سفسطة ومغالطة لا تصدر من علماء الدنيا فضلا عن علماء الآخرة فنحن معاذ الله ان ندعي ذلك في اسلوب تعليم رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم بل ندعو الى مسامتته ومحاذاته تأسيا به صلى الله عليه وسلم والى ارجاع نظامنا في التعليم الى نظامه كما توفقت الى شيء من ذلك بعض المدارس النظامية حيث كانت الطريقة فيها كذلك من القاء واملاء وكتابة الخ فتسري روح تلك التعاليم الى اعماق القلب وترسخ في الذهن ويدركها العقل وتتزكى بها النفس فتمتثل بها الجوارح . وتطوي بهذه الطريقة من المسافات الطويلة في العلوم الواسعة في وقت قصير ما لا يطوى بغيرها في الوقت الطويل كطريقة الرجل في نحو ثلاثين سنة .

وما فهمه هذا المغرض من كلامنا ناشيء عن الجهل بالاساليب العربية وعن الخبث المتجسم في نفسه . فلا يفهم العارف بالاساليب العربية الطيب النفس من قولنا « فهل يليق بامة تظن انها موجودة ان تجمد على اسلوب له من العمر ما لسيدنا نوح عليه السلام » الا الكناية عن طول مدة ذلك الاسلوب العقيم لا التحديد الدقيق على حد قوله تعلى « ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم » .

على ان مثل هذه المدة لهذا الاسلوب لا تحسب من قبل اربعة قرون كما اوهمه هذا الغالط اذ لفق كلاما مضى وانفصل بكلام آت وجعلهما كلاما

واحدا . وانما تحسب تلك المدة له من يومنا هذا بالنسبة للامة العاكفة عليه الى الآن وهي موضوع كلامنا . واي رجل يقدر ان يتجاهر مهما بلغ من الوقاحة بأن اسلوب هذا الجامد الذي ننتقده اليوم هو اسلوب رسول الله صلى الله عليه وسلم او ان اسلوب الرسول هو اسلوب الرجل المنتقد عليه (استغفر الله) فشتان ما بين الاسلوبين فالفرق بينهما كالفرق بين الرسول واصحاب هذا الاسلوب .

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث الناس بما يفهمون على قدر عقولهم ومداركهم ويرسل الكلام على عواهنه بذلاقة وفصاحة وبيان حسب المقامات التي تقتضيها الاحوال والمواضيع التي بعث لاجل هداية الناس وارشادهم اليها وكان يلوح من فمه صلى الله عليه وسلم مع ذلك الاسلوب الحكيم شعاع النبوة ونور الرسالة فيتسابق ذلك كله الى قرارة نفوس السامعين فيسكن في اعماق قلوبهم فتسري في عقولهم تلك الروح الطاهرة الزكية فتتسارع الجوارح الى الامتثال فيقومون وكل منهم يرى نفسه رجل العالم علما وعقلا ودراية وسياسة واخلاقا بعد ان كان يرى نفسه بالامس ذلك البدوي الجلف الجافي : فما هو الاسلوب الذي أثر في تلك القلوب القاسية والف بين تلك الطباع المتنافرة وكسر شدة تلك النفوس الجامحة ؟

أهو اسلوب ذلك الرجل الذي ننتقده الآن ؟ ام هو تلك التعاليم العالية والمبادي السامية الممزوجة بروح النبوة والرسالة ؟

كان صلى الله عليه وسلم يتجنب الاغراب في الكلام واللغو واللغط ويترك الوحشي والغريب من الالفاظ ولايشتغل بالبحث في السفاسف والقشور اللفظية والقيل والقال ولا بتضييع وقته الثمين

فهل يتطاول ذلك الرجل على مقام النبوءة ويدعي ان اسلوبه « وهو كما يعرفه الناس » هو اسلوب النبيء صلى الله عليه وسلم الذي علمت شيئا عنه وان الانتقاد عليه انما هو انتقاد على اسلوبه صلى الله عليه وسلم « استغفر الله » ؟ ما اعظمها فرية صدرت ممن يدعي التمسك بالسنة واقتفاء اثر السلف الصالح !

ان ادعى ذلك « وحاشا مقام النبوءة منه » فهل يقدر ان يدعي انه انتج به في نحو ثلاثين سنة ما انتجه رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثلاثة وعشرين سنة ؟ كلا والف كلا

لئن بلغ به الجهل بالرسول الى هذا الحد فليستانف ايمانه به من جديد وان اعترف بان اسلوبه مخالف لاسلوبه صلى الله عليه وسلم فهل يجوز له استعماله وهو مخالف له ؟

قال « ثم زاد على ذلك ان بهت اهل القرون الاربعة بمخالفة الاسلوب النبوي في التعليم الخ » لم يبهتهم من قال « فما وصل اليه اسلوب التعليم اليوم انما هو نتيجة البحث والتنقيب في تحسينه في مدة تنيف على اربعة قرون » واعترف لهم بالجد والكد واعمال الفكر ونبذ ذلك الاسلوب العقيم وارجاعه

طريقته الفطرية حتى شيدوا المدارس الكبرى واسسوا المجلات العظيمة لحف السيارة فربطوا العالم بعضه ببعض وهيئوا له الاسباب والتسهيلات مة لاقتناء العلوم والمعارف بتاسيس المطابع وتقريب المواصلات ونشر التي يستفيد منها حتى من يراها مضرة بالدين .

وانما بهتهم من يزعم ان طريقتهم في التعليم كطريقته الجامدة وينكر داتهم الهائلة ويراهم — وهم اخوانه — كأجانب وانما بهت رسولهم الكريم يزعم ان طريقته عليه السلام في التعليم هي ان يقعد الصحابي رضي الله امامه فيقرأ عليه جملة من الكتاب أو جملة فيفسرها له كذلك بتلك قة العقيمة .

قال « كانه لم يطلع على صحفهم ومجلاتهم المشحونة بالتحريض على تعلم الدينية » ان كلامنا في نفس الاسلوب لا في انواع العلوم فلن يخطر العدول عن العلوم الدينية الى غيرها وانما نتطلب استيفاءها كلها حسب كان باساليب نظامية توصلنا في اقرب وقت الى المبتغى فهل في هذا من ر من الشارع ؟

قال الشيخ محمد عبده « فاذا وجدنا من العلم ما يوصلنا الى البصيرة بما د من الغاية في مدة قصيرة كيوم او يومين مثلا ورأينا ما سمي علما نه انما يوصلنا في مدة اطول كاربعة ايام مثلا كان لنا ان نعد الاول علما يا لانه ارشدنا الى اقرب طريق مؤدية الى الغاية وان نعد الثاني غير علم

لانه عاقنا عنها واوجد لنا العثار فيها فالعدول اليه سقوط في الضلة اهـ.

قال « ثم من فرط غباوته واستحكام جهله ان زعم ان اسلوب التعلـ
يزداد تحسنا بتكرر الليالي والايام فيلزمه ان ءاخر الزمان عنده افضل من
اوله في العلم والتعليم »

عزب عن هذا الجاهل ما عليه العالم من الاختراعات المدهشة والاكتشافا
الهآيلة وما وصلت اليه عقول البشر وافكار بني الانسان . فهل يرى ان هذ
من مقتضيات الجهل والتأخر الى الورآء ؟ ام يرى ان هاته المواهب حرم
الله على المسلمين وقد حرضهم على البحث عنها وجعلها وقفا على الكافرين
ليملكوا بها ناصية الاسلام وهو يقول « ولن يجعل الله للكافرين ع
المؤمنين سبيلا » ويقول « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة »

ام يرى ان تلك الاساطيل الجوية والبحرية والقلاع البرية والمدافع المدمر
هي الاعيب صبيانية ؟ وفي الجمود والسكون والاستسلام من اعداد القو
الكافية ما يكفل بمقابلتها وابادتها ؟ الم يبلغه خبر : حاربوهم بما حاربوكم
ان سيفا فسيف وان خنجرا فخنجر ؟ ام يرى ان تلك النصوص وهذ
القواعد خاصة بقوم دون قوم وعصر دون عصر ؟

وقوله فيلزمه ان ءاخر الزمان الخ هذه مغالطة لاينبغي ان تصدر من
الزاهدين الناسكين . فهل جهل هذا المسكين قاعدة « المزية لاتستلز
الافضلية » فاذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أميا لايعرف القرا

الكتابة فهل يلزم منه ان يكون البشر اميين والا كانوا خيرا من الرسول ؟
ان فضل الرسول عليه السلام واصحابه وعصرهم الخ راجع لفضل نور
القيضي نور النبوءة والرسالة لا الى مجرد اسلوب التعليم ولا يلزم من
سنه وان بلغ ما بلغ ان يصل شأو ذلك النور الالهي النبوي واذا بطل اللازم
بطل الملزوم

على انه عليه السلام لم ينتقل الى الرفيق الاعلى الا وقد ترك باب البحث
نظر مفتوحا وترك لتسابق العقول والارآء في المصالح المرسلة مجالا فسيحا
لم تخرج عن حد المباحات . وكانت حاجيات العالم في القرن الرابع عشر
وها في القرن الاول فبماذا يعيش وهو في هذا العصر لو لم يجعل لعقول
فكرين حظ في التفكير ؟

قال الغزالي « وما يقال انه ابدع بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فليس
كل ما ابدع منهيا بل المنهي بدعة تضاد سنة ثابتة وترفع امرا من الشرع
مع بقآء علته بل الابداع قد يجب في بعض الاحوال اذا تغيرت الاسباب اهـ.

فملى من يحجر على العقول ان تنطلق في ميادين البحث والنظر ويزعم
ن في انطلاقها خروجا عن الدين ان يرجع حالة العالم اليوم الى حالته في
قرن الاول والا فليسر معه مستنتجا من الكتاب والسنة ما ينجيه في الدنيا
الاخرة او ليصمت فما كل فم خلق للكلام .

قال « اقول أما ادعاؤه شن الغارة على تعلم العلم من غير وطن المتعلم فمحض

كذب وافتراء — الى ان قال — وانما شننت الغارة عليه وعلى اضرابه »
باليت ذلك لم يكن منه حقيقة كما زعم اليوم ولكن الواقع والحضور شهـ
عليه لاله . وقوله وانما شننت الغارة عليه وعلى اضرابه الساعين الخ صر
فيما ذكرنا لان الذي نسعى اليه قد علمه القاري مما تقدم والطعن في القا
بالشيء طعن في ذلك الشيء نفسه كما انه طعن في المدارس التي تزاول فيه
تلك الدروس وطعن في حضرات المدرسين الاجلاء ضرورة ان الكـ
قايمون بها . واي عبارة افصح في هذا من جعله اياهم « وهم مسلمون
اجانب ؟ ثم ان الغارة التي شنها علينا ـ ونحن نبذل كل مجهود في تنوير الوط
بالعلم والعرفان ـ لوشنها على اولياء اولئك الصبيان المهملين المشردين وع
اولئك الشبان المنهمكين في الخمور والفجور والتبذير والفساد الذين يحرثو
اليوم ما ستحصده الاحفاد غدا من الخراب والدمار والموت وعلى الخون
الحربي الذمم الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا وعلى المـرهقين
العابثين بحقوق امته وبلاده لكان حقيقة صادقا مخلصا . فما باله خفت صوت
في شان هؤلاء ولم يردد في اذاننا صداه ؟

قال « مظهرين للجهلة ، صفاء العقول انها العلوم التي ينالون بها
حقوقهم ويخلعون بها ربقة العبودية من اعناقهم ويرتفعون بها من حضيض الذل
الى اوج الظهور فيخدعونهم بهذه الاماني الباطلة عما ينفعهم في العاجلة
والآجلة »

يظهر من هذه الجمل ما عليه الرجل من الغرور والطيش حتى جعل
الطبقة المستنيرة من الامة جهلة وضعفاء العقول وجعل العلوم التي ذكرناها
وما توصل اليه من الغايات اماني باطلة يخدع بها الضعفاء .

ونحن نسائله هل هو حر طليق ؟ ام داخل في ربقة العبودية ؟ فان
كان الاول فيكذبه الواقع . وان كان الثاني فهل يجوز له عقلا وشرعا
— وهو عاقل مسلم — أن يرضى له ولامته بالبقاء فيها الى الابد ؟ ام يجب
عليه ان يطلب حقوقه الشرعية كبقية الامم قدر الامكان ؟ وعليه فما هي
الوسائل الكفيلة بذلك ؟ وما هي العلوم التي توصله اليها اذا كانت تلك اماني
باطلة ؟

ان دام هذا ولم تحدث له غير * لم يبك ميت ولم يفرح بمولود

قال — وما ذلك الا لغرض لهم شخصي وهو ما يحصلونه من احسان
الاباء اليهم باعطاء الحقوق لهم والتبرعات وما ياخذون عليهم اجرة على
قيامهم عليهم في زعمهم فقد جعلوا اولئك الصبيان متجرا لهم —

تلك مقالة طالما طنطن بها السفهاء المفسدون كذبا وافتراء تنقيصا لقيم
المصلحين واحباطا لمساعيهم حتى لايظهر للملا عجزهم وتقاعدهم ولكن الامة
الذكية قد ادركت المقصد من هذه الاراجيف واصبحت لا تؤثر عليها بحال
والمصلحون لايزدادون بمثل هذه الافتراءات الا ثباتا واقداما وقوة يقين
بأحقية مساعيهم حيث لم يكن بيد المفسدين من الحجج لتفنيد المساعي

الاصلاحية الا امثال تلك الترهات والاباطيل . وحاشا ان يلتجيء اليها من كانت في يده حجة داحضة لمقارعة خصمه

والعجب من صدور مثل هذه من رجل يدعي انه من رجال الاخرة ويصف نفسه بالولي الصالح . فمن اين له هذه الدعوى الزآيفة يا ترى ؟

فهل دخل في قلوبنا وراي فيها ان لا غرض لنا بتلك المساعي الا هذا؟ وهل كان ما نحصله من الآباء على يده ؟ وهل كانت تلك الاجرة تتقاضاها بمحضره ؟ ولو كان غرضنا التجارة وجمع الحطام كما ارجف به هذا الساقط فما حملنا على تركها مباشرة في اسواقها ومزاحمة التجار في معترکها حتى نحصل على ما حصلوا من الارباح الطائلة والثروة الوافرة ونوسع كما وسعوا ؟ فهل ينقصنا من المواهب والاستعداد ما يؤهلنا لمزاحمتهم في ذلك الميدان او التفوق عليهم ؟

وما الجأنا الى مقاساة الشدايد والمحن وتجشم المشاق وركوب الاخطار واهوال الاغتراب وترك ضروريانا العائلية واشغالنا الخاصة وتحمل اعباء الاولاد ومسئوليتهم وتجرع الغصص في تربيتهم وتضحية اوقاتنا الثمينة في القيام بشئونهم وقضاء مئاربهم لولا ما نراه واجبا نحو الدين والوطن من اعداد طبقة من النابتة متنورة مفكرة عالمة بما لها وما عليها من الحقوق والواجبات حتى تعمل لاسعادهما واعلاء شانهما وانقاذهما من الضلالة والجهالة اللتين يحاول هذا المخذول ابقاءهما عليهما الى الابد .

تلك هي حرفتنا وهذه اغراضنا نحو ديننا وبلادنا فما هي حرفته مدة عمره يا ترى ؟ وما هي احساساته نحو دينه ووطنه ؟

لئن لم يقدر هذا الجسود قيمة القيام بهذه النهضة المباركة فهل يصعب عليه ان تقدرها الامة الذكية حق قدرها وخصوصا لما رات منها بوارق نجاحها وطلائع فجر اعمالها .

قال « وادعاء هذا السفيه عليه انكاره التعلم على الاسلوب العصري مجازفة . الخ . هذا منه صريح في احقية الاسلوب العصري واعتراف بصحته فان سلم انه موافق للكتاب والسنة وءاثار السلف الصالح فذلك عين المطلوب . ولكنه يناقضه ما ذكره قبل من انه اما مضر بالدين او شاغل عنه . فما يضر بالدين لا يكون من الدين .

وان لم يسلم انه موافق لها فكيف يعترف بشيء غير موافق لها ؟ ثم ما هي العلاقة بينه وبين اهل هذا العصر الحاضر حتى نحاول افسادها عليه والقاء العداوة والبغضاء بينها ؟ وهل هم يشعرون بوجوده ؟ فهو على ما نرى منهم احقر عندهم من ان يذكر

قال « فما انكرنا عليه وعلى حزبه الا حمل الناس على اسلوبهم الذي اخترعوه » الخ نحن لم تبلغ مداركنا بكل اسف الى حد ان نخترع اسلوبا جديدا غير اننا حذونا شيئا يسيرا مما تمخضت عنه عقول البشر في العصر الحاضر وهو الاسلوب العصري الذي اعترف به سابقا . ولئن جعله هو بهتانا فيما مر على العصريين فقد اتخذه العالم سلما لرقيه وركنا لنهضته ولا غبار عليه ان نفاه عنه من لم يحسه ولم يذقه

قال « قال في الاحياء وشرحه » الخ كل ما نقله عنهما فهو حجة لنا عليه لا له ثم ان نقله هنا او فيما ياتي عن فيلسوف الشرق الكبير وهو يعد الفلسفة كفرا وضلالا تذبذب وتناقض مع ان في كتب مذهبه «لويعلم» كفاية وغنى.

وقوله « قول صاحب مجلة نور الاسلام في شان تربية الصبيان يا ايها الكفلاء الخ . ان جميع ما نقله عنها هو مطابق لمسلكنا وما ندعو اليه ويا ليته عمل بما فيها فيكفي نفسه مؤنة الدخول لهذا المأزق الغير النافذ وكفانا مؤنة استخراجه منه بجد وكد

قال « فانه ما حكم بالضلال الا على الولد الضال عن طريق الهدى باعتقاد البدع والخطا وتعلم الشبه التي القته في مهواة الردى الخ . هذا منه نقص مما وقع فيه فقد قال سابقا « فان كلامنا اولا وءاخرا معه واشياعه الخ هل يوجد عندنا شيء من تلك الضلالات ؟ « وقد سمع القاري الكريم ما نحن عليه » ونود بكل امتنان ان لو ذكر لنا فسادا واحدا ادخلناه حقيقة في عقيدة الاولاد مخالفا للكتاب والسنة وءاثار السلف الصالح .

فاذا حكم على اولئك بالضلال وكان كلامه اولا وءاخرا معنا وقد علم القاري ما نحن عليه وما نزاوله من الدروس افليس من الحقق ما قلناه من انه حكم على الولد والوالد والمعلم بالضلال ؟ ولو اراد ان يحكم على هؤلاء بذلك فباي صيغة يعبر عنه اكثر من هذه ؟ على ان الحضور شاهد عدل على ما قلناه

قال « وان ذلك لايوصل اليه الا باتباعهم ولايحصل بمخالفتهم الا النقص

والهلاك والعياذ بالله » نحن نوافقه على ذلك ولكن ما هي مخالفتهم ؟ هل هي احقاق الحق وابطال الباطل والسعي في اصلاح الامة بنشر التعليم الصحيح بكل مجهود واعزاز الدين واعلاء كلمة الله وتقريع الظالم والمفسد ؟ ام هي مساعدة الباطل والسعي في الافساد وتحريم الواجب وتحليل المحرم والكذب والافتراء والغيبة والنميمة وعقوقهم والشح عليهم « وهم اساطين هذا الدين الشريف » ولو بطلب المغفرة والرحمة لهم ؟

قال « واما تعريضه بالشتم بعمى البصر الخ » لئن توهم الرجل من العبارة ذلك فان من يذوق الاسلوب العربي يدرك بداهة من مساق الكلام ان العبارة انما سيقت للكناية . على ان تصور الحالة الحقيقية التي حكم عليها قبله بالكفر منتف عنه بوجه ابلغ ويصدق هذا على كل من لم يتصورها بصيرا كان اوضريرا فالانتقاد موجه لعمله الفاسد ومجازفته لالذاته . وذلك منا تنزيل له منزلة الغير المتصور لها وأما في الحقيقة فقد تصورها واستحسنها اذ قال لبعض منا بعد المفاهمة معه « ان كان الامر كما تقول فهو حسن »

ولحاجة في نفسه صرح لبعض بعد ذلك « اني ساسعى في افسادها وقطعها » فانساه حب الذات ما قاله قبل لمجرد انه لم يحتفل به بعض القائمين بالحركة . فحسنها وقبحها في نظره اذاً راجع للاحتفال به او عدمه . فهو يخدم اغراضه لا مصالح دينه ووطنه .

قال « لا حال من يرشد الناس الى الاشتغال بالعلوم الشرعية ويحثهم على

التمسك بالسنة النبوية والاقتداء بالسلف الصالح » ان هذه الكلمات لذيذة يحلو لنا سماعها ولكن من رجل موفق صادق في القول والفعل لا من مغالط مخذول كهذا . فهل من ارشادهم صدهم عن الاشتغال بما يحث عليه الكتاب ويحض عليه وسجن عقولهم عن البحث والنظر فى الكائنات ومعارضتهم فى جوب البلاد لاستجلاب ما فيه نفع العباد ؟

وهل من حثهم على التمسك بالسنة صدهم عن اقتفاء اثر الرسول فى الهداية والارشاد بالقاء وحفظ كما يدركون ويفهمون حسب درجاتهم ومداركهم ؟ وحملهم على ترك التلميذ كصورة جامدة امام معلم كحائك ؟ وهل من حثهم على السنة لعن من يحثهم على السنة ؟ ونبش قبره وهو قد افضى الى ربه ؟ واكل لحمه ميتا ؟ وهل من حثهم على الاقتداء بالسلف الصالح حملهم على ترك السير على منهاجهم القويم الكفيل بالسعادتين وصرفهم عن تعلم علومهم التي تمكن من الدفاع عن تراثهم المقدس ؟ وهل من الحث على الاقتداء بهم حملهم على تضييع البقية الباقية من ايديهم وتمكين الغير من انفس ميراثهم ؟ ولو اراد انسان ان يخون دينه ووطنه وامته فهل يفعل شيئا اكثر من ذلك ؟

وهل من الاقتداء بالسلف اختلاس الكتب بكل وسيلة وانتحال الرخص لذلك كما حكي الشيخ محمد عبده «ان احد الشيوخ المتفقهين بمصر سرق كتابا من وقف احد الاورقة فى الازهر مستحلا له بحجة ان قصد الواقف

الانتفاع به وهو يحصل بوجود الكتاب عنده وقد يفوت النفع ببقائه فى الرواق حيث وضعه الواقف ؟ قال « حتى انهم ليقولون يكفي فقيه واحد فى البلاد وانما الاهم تكثير الخطباء والادباء » ان من يتخذ سلاحه الكذب والافتراء عند فقدان سلاح الحجة يهون عليه ان يكذب بمثل هذا ولئن كان شيء مما قال فقد حكاه مقلوبا والذي قاله له حسبما سمعناه منه مشافهة هو « ان الفقه فن من الفنون والاقتصار عليه ـ وحياتنا تتوقف عليه وعلى غيره ـ ضرب من التقصير فينبغي بعد ان نشترك فى مبادي الفنون وياخذ كل منا قسطه اللازم منها ان نتوزع على الفنون ونسبح فى فضاء العلوم حتى يتخرج فى كل فن ومن بينها الفقه خصيصون ماهرون حسبما جرى عليه العمل فى الامم الراقية اه وهل فى هذا ايها العقلاء تصغير لشان الفقه والعلوم الدينية وانتقاص لائمة رحمهم الله ؟ الم يكن فيه حض على تعلمه بطريقة اضبط وانفع ؟

قال « وانما الاهم تكثير الخطباء والادباء بالحث والترغيب والاعانة على تعلم الانشاء والفصاحة والعلوم العقلية مخالفة ومضادة لقوله صلى الله عليه وسلم « من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين » من اين له ان يجعل تعلم الفصاحة والانشاء والعلوم العقلية مخالفة ومضادة للحديث الشريف ؟ وبماذا يقع التفقه في الدين وفتح خزائن الفقه اذا لم تكن تلك الآلة وهاتيك المفاتيح ؟ وهل يمكن عادة ان يفقهه الله فى الدين بدون منح الآلة اياه ؟ اذا كانت تلك الآلة مخالفة ومضادة فما هي الموافقة المساوية ؟

اذا كان تعلم الانشاء والفصاحة التي اتى بها القرءان الكريم مخالفا ومضادا للحديث الشريف كان تعلم القرءان نفسه مخالفا ومضادا له ايضا « استغفر الله » كان هذا الجاهل بالقرءان وعلومه لم تبلغه سورة القلم . قال الشيخ محمد عبده في قوله سبحانه « اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم » فخص من العلم العلم بالقلم والكتابة تنوها بشان التحرير والبيان وتنبيها على عظم فائدته وهو انما يكون بعلم اللسان والبراعة فيه . لانريد من العلم تصور القواعد وانما نريد منه ملكة الافصاح والبيان وكون المراد منه هذا الامر امر بدهي اذ لولا الكتابة لما وصلنا الى درجة من الدرجات التي نراها فافتتاح الله تعالى الوحي بطلب العلم والثناء عليه سبحانه بانه هو الذي علمه ووهبه الانسان ارشاد الى فضل العلم وحث على تحصيله وخصوصا العلم بالقلم اه. وقال في تفسيره ثم انه لايوجد بيان ابرع ولادليل اقطع على فضل القراءة والكتابة والعلم بجميع انواعه من افتتاح الله كتابه وابتدائه الوحي بهذه الآيات الباهرات . فان لم يهتد المسلمون بهذا الهدي ولم ينبههم النظر فيه الى النهوض الى تمزيق تلك الحجب التي حجبت عن ابصارهم نور العلم وكسر تلك الابواب التي اغلقها عليهم رؤساؤهم وحبسوهم بها في ظلمات من الجهل وان لم يسترشدوا بفاتحة هذا الكتاب المبين ولم يستضيئوا بهذا الضياء الساطع فلا أرشدهم الله ابدا اه.

فاين ذلك المغرض من تلك الآيات البينات وهذه الابحاث النفيسة ؟

وهل يبلغ انسان في قلبه ذرة من الايمان وفي دماغه مسكة من العقل الى ان يتجرأ على القرءان المجيد ويستخف به ويقول ان تعلم علومه وخصوصا الانشاء والفصاحة والحث عليها مخالف ومضاد للحديث الشريف ؟ ولايقول بهذا الا من لم يكمل ايمانه بالرسول وبما انزل عليه .

على اننا نسائل هذا البليد ما هو الفقه الذي يفهمه من الحديث ؟

هل هو مسائل الفتوى واللعان والظهار الخ . ؟ ام هو عبارة عن نور يظهر في القلب عن تطهيره وتزكيته على ماعرفه به الشيخ اسماعيل رحمه الله فان كان الثاني فالرجل بعيد عنه بمراحل واستدلاله بالحديث على البعض في غير محله . وان كان الاول فقد افترى على الله ورسوله الكذب . واليك ما قاله الشيخ اسماعيل رحمه الله في القناطر في الجزء الاول صفحة ٨٧ ونصه

« فلا تظنن اصلحك الله ان من تجرد لعلم الجدال والمماراة وافنى عمره بتعلم فقه المعاش والخصومات يتصف بشيء من هذه العلوم المتقدمة ولو سئل اكثر من يدعي الفقه وتجرد لاحياء الدين بزعمه عن معنى من معاني هذه العلوم حتى عن الاخلاص مثلا او عن التوكل او عن وجه الاحتراز عن الرياء لتوقف فيه مع انه فرض عينه الذي في اهماله هلاكه في الاخرة ولو سئل عن مسائل الفتوى واللعان والظهار والسلم والشفعة والاجارات وما اشبه ذلك من مسائل الفروع التي تنقضي الدهور ولايحتاج الى شيء منها وان احتيج لم يخل البلد عمن يقوم بها ويكفيه مئونة التعب ولوسئل عن شيء

من هذا لاجاب سريعا وما توقف . فتراه يتعب فى حفظه ودرسه ليلا ونهارا ويغفل عما هو فرض عليه فى نفسه واذا روجع فيه قال اشتغلت به لانه علم الدين وهو فرض كفاية ويلبس على نفسه وعلى غيره والفطن يعلم انه لو كان غرضه اداء حق الامر واحياء علم الدين لقدم على ذلك فرض نفسه اهـ.

قال « وقوله انكم اصبحتم في زمان الحديث » استدلاله بهذا الحديث الشريف في غير محله ايضا لاننا لسنا نتطلب الاقلال من الفقهآء والاكثار من الخطبآء فالاقلال والاكثار انما يكونان من الشيء الموجود وما نحن بصدده في تكوين المعدوم حيث لا فقهآء اختصاصيين ولا خطبآء مصاقع . فنحن لم نزل نطرق بابي الفقه والخطابة ولما ندخل . على ان المراد بالفقهآء في الحديث والله اعلم الفقهآء بالمعنى الذي ذكرناه انفا عن الشيخ اسماعيل رحمه الله وهذا النوع لا وجود له عندنا الا نادرا . وان المراد بالخطبآء فيه الخطبآء المتشدقون المتصنعون لا الخطبآء المرشدون والدعاة المصلحون الذين لا حياة للبلاد والعباد الا بهم وبهم انتشر الاسلام في مشارق الارض ومغاربها في العهد الاول . فالاكثار من هؤلآء ضروري للدين والوطن طبعا »

« كنتم خير امة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر » ولكن بكل الاسف لا وجود لهم عندنا ايضا . ولاقصد لنا بمشروعنا المبارك الا تكوين هذين النوعين بان تكون منه طبقة متشبعة

روح الاسلام وتعاليمه الصحيحة من الصدق و الاخلاص والتواضع والانصاف والغيرة والعزيمة وقوة الارادة والاعتماد على النفس بعد الله سبحانه والعمل باوامره واجتناب نواهيه حتى تبث تلك الروح في الامة .

وطبقة تنشب على معرفة اخلاق الناس وطبائعهم ومكامن الضعف والخلل فيهم منفردين ومجتمعين وما تدعو اليه حاجياتهم من الاصلاحات والمشاريع حتى يتمكنوا من دعوتهم وارشادهم باساليب الحجة والاقناع الى ما فيه صلاح معاشهم ومعادهم فاين مرامينا من شهوات الرجل ؟

قال « واشنع من هذا واقبح تفضيل علومهم على القرءان» الخ . هذا فحش كذب سمعناه واغرب منه صدوره من رجل يحث في زعمه على الكتاب والسنة وءاثار السلف الصالح فاي رجل يرى ان في الحث على تعلم القرءان وعلومه وبيان مزاياه تفضيلا لغيره عليه ؟ فما هي علومنا من القرءان الكريم ؟ وهل ندعو الى تعلم شيء غير العلوم التي ارشد اليها القرءان المجيد حتى تفضلها عليه ؟ وهل يصدق هذا على من له فى قلبه ذرة من الايمان ؟

واستدلاله على صحة دعواه بقوله « فان هذا الضال نفسه اخبر بتوقيف شخص الخ . باطل مبني على دعوى مكذوبة زائفة لاتصدر الا من الافاكين مثله . ولعل بعض السفهاء حكوا له هذه الخرافة محرفة لحاجة في نفسه . وحقيقة ما دار بيننا وبين ذلك السفيه الذي هو لا في العير ولا في النفير « انه عرض علينا قائمة حبس لبعض المحبسين فلما فرغ منها قال لنا ما

رأيكم فيها ؟ قلنا له وانت ماذا ترى فيها ؟ قال ارى انها احسان ولكن فيها محاباة وتمييز

قلنا له وهل فيها تنصيص بفلس لطلبة العلم ؟ قال لا فتاسفنا وقلنا فيها كان بجانب اقساط مؤدبي الصبيان قسط للقيام بنحو تلميذين او ثلاثة من ابناء فقراء الامة الاذكياء لان الامة الى العلوم والمعارف التي تفهم بها القرءان لتعمل به احوج منها الى مجرد حفظ القرءان من غير فهم معناه. ثم حكينا له حكاية اوردها صاحب النظرات في كيفية الاحسان وذكرنا له ما هو حظ الارساليات العلمية من همم رجال الامم التي تعرف للعلم حقه ومزيته اه . فهل في هذا من تفضيل للعلوم على القرءان ؟ وهل فيه من تخصيص لعلم دون علم او مكان دون مكان ؟ اولم يكن في الحث على تعلم علوم القرءان والتنشيط عليه حث وتنشيط على تفهم القرءان كما انزل وحمل الناس على الالتفاف حول رايته ؟ ان الذي يفضل علومه على القرءان هو الذي يزهد الناس في فصاحته وبلاغته ويظهرها لهم مخالفة ومضادة لكلام الذي ارسل به ويحملهم على الاقتصار على حفظ الفاظه مع الجهل بمعانيه ويصدهم عن تعلم ما تفهم به اغراضه العظيمة وتعاليمه العالية ومراميه البعيدة واسراره الدقيقة ويرى التعمق فيها والغوص لاستخراج جواهرها والعمل بما تتضمنه اياته الباهرة كفرا وضلالا .

قال ومن غرورهم وتغريرهم زهدهم في استظهار القرءان وحفظ المتن

تنفير الناس عن ذلك الخ .. هذا منه مغالطة وتضليل فان تزهيد الناس في حفظه وفي تعلم علومه لن يقول به من يسعى ليله ونهاره فيهما وليس هذا موضوع كلامنا وانما كلامنا في الاقتصار على حفظه وتضييع سن التعليم باسره في استظهاره مع عدم تعلم العلوم التي توصل الى فهم اياته وما فيها من الحكم والعبر والاسرار . فاي الطريقتين احسن وافضل وافيد ؟

والظاهر ان الجواب عن هذا يستفاد من حديث ابي ذر رضي الله عنه « حضور مجلس عالم افضل من صلاة الف ركعة وعيادة الف مريض وشهود الف جنازة فقيل يا رسول الله ومن قراءة القرءان فقال صلى الله عليه وسلم « وهل ينفع القرءان الا بالعلم » ولم يكن من الصحابة رضي الله عنهم في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من يحفظ متن القرءان كله مع ما بلغوه من الفضل والمكانة في علوم القرءان والسنة الاستة نفر .

والباقي منهم من حفظ سورة او سورتين او سورا وهكذا عملا بقوله صلى الله عليه وسلم « انهذا القرءان مأدبة الله فاقبلوا من مأدبته ما استطعتم » فاين هذا الجامد من الصحابة رضي عنهم

قال « ولعلهم يرون ان الامر باستظهاره الى قوله — هو من الاسلوب القديم — الخ » نعم ان الاقتناع بذلك دون تعلم ما يوصل الى فهمه نراه مما يوافق اسلوب الرجل ويخالف ما كانت عليه الصحابة رضي الله عنهم .

على ان مدار كلامنا انما هو في استظهاره وتفهم معناه للاستفادة والاستضاءة

به وذلك انما يكون بالسعي فى تحصيل علومه ومفاتيح خزائنه للحصول ع
السعادتين واي . عاقل مسلم يقول ان فى هذا تفضيلا لعلومنا على القرآن
الكويم الا مغالط مكابر .

قال « ولا ارى الحامل لهم على ذلك الا الميل للراحة والكسل الخ .

ان المعانات والتكلف والمشقة انما هي في اذابة المخ واجهاد العقل واعمال
الفكر لا في مجرد الحفظ-فهو اسهل من السهل حتى على الصبيان والنساء بل
حتى على الحيوان والجماد فالميل اليه وحده هو الذي يعد حقيقة ميلا الى
الراحة والكسل . اما اجهاد العقل واعمال الفكر فهما مختصان بالعقلاء
والمفكرين . والله سبحانه لم يقل في كتابه «انفي ذلك لآيات لقوم يحفظون»
وانما قال « لقوم يعقلون . لقوم يتفكرون . لقوم يتذكرون . لأولي الالباب .
لأولي الابصار » الخ .

قال واما قوله تعلى « فلولا نفر من كل فرقة» الاية. فحجة عليه الخ .
قد احترق دماغ الرجل بصاعقة الآية فاخذ يهذي هذيان المحموم وخرج
عن الموضوع ولم يبين روح الآية الكريمة لانه لن يقدر ان يبينها ويجعلها
حجة له في ءان واحد قال في الكشاف « طائفة » اي من كل جماعة كثيرة
جماعة قليلة منهم يكفونهم النفير « ليتفقهوا في الدين » ليتكلفوا الفقاهة «الفهم»
فيه ويتجشموا المشاق في اخذها وتحصيلها « ولينذروا قومهم » وليجعلوا
غرضهم ومرمى همتهم في التفقه انذار قومهم وارشادهم والنصيحة لهم لا ما

يحيه الفقهاء من الاغراض الخسيسة ويؤمونه من المقاصد الركيكة من التصدر
والترؤس والتبسط فى البلاد والتشبه بالظلمة فى ملابسهم ومراكبهم ومنافسة بعضهم
بعضا وفشو داء الضرائر بينهم وانقلاب حاليق احدهم اذا لمح ببصره مدرسة
الآخر او شرذمة جثوا بين يديه وتهالكه على ان يكون موطأ العقب دون
الناس كلهم فما ابعد هؤلاء من قوله عز وجل « لا يريدون علوا فى الارض
ولا فسادا » اه .

قال « قال السبكي ومن العلماء طائفة تبعت طريقة ابي نصر الفارابي الخ »
لئن سمى هذا القائل الباحثين المفكرين فى اسرار الكون سفهاء وجهلاء
فقد سماهم الله سبحانه « اولي الالباب ـ اولي الابصار » عقلاء مفكرين .
وكلام الخالق حجة على كلام المخلوق .

قال « واما تلويحه بحديث اطلبوا العلم ولو بالصين الخ » ما باله لم ياخذ
من مفاد العبارة الا التلويح وهلا كفاه عموم الحديث واقنعه ؟ ولئن لم يقنعه
فهلا بين اذاً الوجه المراد من الحديث وكفى نفسه مؤنة التملص ولن يقدر
على ذلك الا بجعله حجة عليه . ولئن حرفه فماذا يقول فى تكليف رسول الله
صلى الله عليه وسلم كلا من اسارى بدر بتعليم عشرة اطفال من اولاد الانصار
فدية لهم ؟ فهل كان هذا منه صلى الله عليه وسلم موالاة لهم؟ او مكذوبا عنه ؟ .

على ان الغرض من سوق الحديث الشريف فى العبارة تقريع الرجل
الذي يزهد الناس فى طلب العلم من مدارس المسلمين بذلك الحديث الشريف

العام الحاث على طلبه وشد الرحال اليه على الاطلاق بكل التكاليف . وكان النبهاني فيما يخص مدارس البابوات الذين يتقرب اليهم هذا المذبذب والعجب منه انه لم ينكر على الناس التعلم فى مدارس الافرنج انكاره علينا التعلم فى مدارس المسلمين فهل يرى فى هذه من الاخطار ما لا يراه فى تلك والواقع شاهد عدل على عكس هذا . الا قاتل الله الاغراض فانها اذا استولت على الانسان تعميه وتصمه عن ادراك الحق وتريه الحقائق مقلوبة .

قال « واما السلف الصالح فما كانوا يسافرون ويتجولون الا لطلب علم اصول الدين او فروعه او مقدماته او متمماته » نعم ذلك هو عين ما ندعو اليه لا غير ولا نطلب منه ان يعترف بشيء اكثر من ذلك فقد سافروا شرقا وغربا وجابوا البلاد لتلك الاغراض السامية فرجعوا لبلادهم يحملون فى ادمغتهم كنوز العلوم ونفائس العرفان لاحيائها واسعادها فكان منهم المحدث والمفسر والكلامي والفقيه والحكيم والفيلسوف والمورخ والرياضي والهندسي وو الخ وكفى هذا شاهدا اولئك الايمة الكبار حملة العلم العشرة الذين اقبلوا من اطراف شاسعة واماكن بعيدة لطلب العلم والعرفان فى وقت لم تتوفر فيه اسباب الامن والراحة ومعدات النقل توفرها اليوم تاركين للديار والاوطان مفارقين للاهل والخلان واجتمعوا بذلك الامام الكبير المحدث العلامة ابي عبيدة مسلم بن ابي كريمة بالبصرة ومكثوا معه مدة حصلوا فى اثنائها من العلوم ما صيرهم قادة وايمة هذا الدين ورجعوا الى اوطانهم

حاملين لالوية الشريعة ناشرين لتعاليمها الصحيحة ومباديها العالية حتى اسسوا بذلك امارتين : امارة بطرابلس ، وامارة بصنعاء ، فكان من امرهم ما كان . ووجودنا نحن الآن على هذا المذهب الشريف اثر من آثارهم وحسنة من حسناتهم فهل كان ذلك منهم بالجمود والاخلاد الى السكون ؟

كلا والله . فما ذلك الا بالصدق والاخلاص والصبر والثبات وقوة الارادة وشدة العزيمة وعلو الهمة والاعتماد على النفس الخ .

وممن اقتفى اثرهم فيما ذكرنا ذلك الرياضي الافريقي الكبير الشيخ يوسف بن ابراهيم الورجلاني الذي تخرج بالاندلس فكان نادرة زمانه فى العلوم النقلية والعقلية والرياضية .

وذلك الفيلسوف الاجتماعي الحكيم الشيخ اسماعيل الجيطالي فانه نبغ كذلك فى تلك العلوم ببلد توزر وقد افاد المجتمع بعلومه النافعة وادويته الناجعة فوائد عظيمة .

وذلك الكلامي المحقق الشيخ ابو عمار عبد الكافي المتخرج بتونس فى العلوم النقلية والعقلية . واضراب هؤلاء الفحول الذين يطول بنا تعدادهم رحمهم الله ورضي عنهم . ولا ندعو ذلك الرجل المقتفى آثار اسلافه قولا الا الى اقتفاء آثارهم فعلا .

قال « قال ابن الحاج الخ » ان ما نقله هنا حجة عليه لا له . اذا كانت الاسلاف ترحل لحديث واحد او مسألة واحدة الشهر والشهرين وهم فى عصر

لم يزل ضوء شمس النبوءة مشرقا على ربوعهم فما بالك بالاخلاف وقد ادبر عنهم ذلك اليوم المضيء واقبل اليهم ليل لا ضوء فيه غير ما يقتبسونه بأنفسهم من ذلك الكتاب العزيز والسنة النبوية وآثار السلف الصالح وما يستفيدونه من سفر الكون الذي وضعه الله للبشر . وهل يترقبون نبيئا آخر يدخل فى ادمغتهم من شمس نبوءته ضوء العلم والعرفان ؟ أفلا يجدر بهم لطلب علوم وفنون الاغتراب السنين الطوال اقتداءً بآثار السلف الصالح الذين يرتحلون الشهر والشهرين لحديث واحد او مسئلة واحدة ؟ أم يستغنون بجهلهم عنها ؟ أم يرونها وهي كما علمت مثلا يراها هذا الغبي اردى من الجهل ؟

قال « ولا نعيب الا علم المزهد فيه والمزدري به والمنفر عنه والمفضل عليه غيره » نحن كذلك لا نعيب الا هؤلاء اني وجدوا وحيثما كانوا ومنهم ذلك الكاتب الذي يزهد فى علوم الفصاحة والبلاغة المؤسس عليها القرآن ويراها مخالفة ومضادة لحديث الذي انزل عليه وناؤلة ومنحطة عن درجة علوم الدين حتى عن متمماته ومقدماته والذي يزدري بآياته التي تحض على البحث والنظر فى الكون وسبر احوال الامم للاستبصار والاعتبار وتامر بالاستعداد اللازم للذود عن بيضة الاسلام . والذي ينفر الناس عن تلك العلوم التي بها يفهم الانسان كتاب الله وسنة رسوله وآثار السلف الصالح وبها ينال السعادتين . وبدونها يبوء بالشقاوتين .

والذي يفضل الجهل والفهاهة والبله عن السعي فى استجلاب العلم والعرفان

لخدمة الدين والاوطان . ثم ان الكاتب ان عنانا نحن بكلامه فتلك الاوصاف لا وجود لها عندنا بالمرة . فعيبه لعلومنا التي علمها القاري الكريم مما مر عيب على علوم الدين وكيف يامر بطلب علم ويعيبه فى آن واحد فهو أما كاذب فى امره او عيبه واما مجنون يهرف بما لا يعرف . وان عنى بكلامه غيرنا فلا دخل لنا فى ذلك . على ان العلم فى حد ذاته شيء نفيس لا يعاب لاجل ان صاحبه فاسد السيرة فالحكمة ضالة المؤمن حيث وجدها التقطها . ولا يكون فساد السيرة دليلا على فساد العلم نفسه وحجة عليه . اذ لا تهان اللؤلؤة بهوان غائصها . وهل يكون فساد المسلمين اليوم دليلا على فساد الاسلام وحجة عليه كلا ؟

قال « بل ما كان السلف يبيحون تعلم ما هو فرض كفاية قبل تعلم ما هو فرض عين فضلا عن تعلم ما ليس من علوم الدين » اما ما ليس من علوم الدين كعلم السحر والطلاسم (وفيه ما فيه ايضا) فلا وجود له عندنا بالمرة ومن ادعى وجوده فعليه الدليل . واما ما كان من علوم الدين مما ذكرناه فلم نؤخر علم فرض من الفروض العينية عن وقت الحاجة اصلا . فنحن والحمد لله لم نزل على طريقة السلف دائبين ولم يحد عنها الا من يرى من الاسلام غير ما يراه القرآن والسنة وآثار اولئك الاسلاف الكرام وسنن الله فى كونه مثل ذلك المعتوه عافانا الله مما ابتلاه به من الذبذبة والخذلان .

قال « فاستدلالهم بفعل السلف على ما يحاولونه الخ » هل ينكر هذا

المتعامي عن الحق ان مثل الشيخ يوسف بن ابراهيم والشيخ اسماعيل الجيطالي والشيخ ابا عمار عبد الكافي والشيخ احمد بن سعيد والشيخ عبد العزيز الثميني واستاذنا الشيخ اطفيش واضراب هؤلاء رحمهم الله بحثوا والفوا فى العلوم النقلية والعقلية والرياضية كالتفسير والحديث والكلام والفقه وفلسفة الاخلاق والاجتماع وعلوم البلاغة والنحو والصرف والتاريخ والحساب والهندسة والمنطق والجبر الخ ؟ ام يرى ان هؤلاء ليسوا من الاسلاف ؟ ام يرى ان علومهم ضارة فى حق اخلافهم ؟

اذا كانت نسبة هاته العلوم للسلف الصالح رحمهم الله والحث عليها تدليسا وتلبيسا فما هو الصدق والانصاف ؟ هل تجريدهم منها وانزالهم فى الجمود والبله منزلة ذاك الاحمق المأسوف عليه ؟

واذا كان انكاره موجها الى تلك العلوم افلا يكون منكرا لعلوم اسلافه الكرام ومقتنعا بتلبيسه وتمويهه وقشوره عن لبابهم الذي به حياة الدين والدنيا ؟ اهذا هو الذي يعد محتفلا بأمر شرعه وكتب اسلافه ؟

وقوله « من حمل الاحداث الجاهلين بمبادي العلوم الشرعية الضارة فى حقهم الخ » لا يوجد عندنا من العلوم هذا النوع ولا نسمح بوجوده . وان رآى الرجل ما عندنا ضارا فقد رآه العالم عموما والاسلام خصوصا نافعا ـ وقد سمعت عن الشيخ اسماعيل ما سمعت ـ وقال الشيخ عبد العزيز فى النيل فى الحقوق صفحة ٢٢٥ « ومن حقه (اي الولد) عليهما تأديبه

وتعليمه القرآن والحساب وفرائضه وما يحتاجه وصلاح دينه ودنياه وقيامهما به حتى يبلغ بحسن التربية ويقدر على الطلب » اه .

وهل ما نطلبه الا شيء يسير مما اشار اليه الشيخ رحمه الله ودعواه جهل الاحداث مبادي شرعهم باطلة لم يقصد بها الا التمويه وانما يكون لها حظ من الالتفات لو لم نكن قائمين بهم حق القيام نغذيهم بها ونصبغهم بصبغتها ليل نهار . وكانه من غباوته لم ير لوجودنا معهم قيمة تذكر ولا اثرا محسوسا لا ينكر

وهلا صرف نظره الى اولئك الاحداث الذين وكلوا الى مدرسة الفساد والفحش والخمور والفجور وانقذهم منها ان كانت به ذرة من الغيرة على دينه ووطنه حقيقة فما باله هاهنا خافت الصوت منكس الرأس ؟ اين الصدق ؟ اين الاخلاص ؟ قاتل الله الاغراض والحماقة

قال « فبالله ياذوي العقول السليمة انظروا من الغار لامته الزاج لها فى غيابات الجهل ؟ اهو الذي يخدع امته المسكينة فى سنة مجاعة عن اراضيهم الطيبة الصالحة لزراعة الحبوب كالبر والارز ولغراسة الاشجار الحسنة الغذائية كالنخيل والعنب فيغرسها اثلا وشوكا وكشوتا وحنظلا وسدرا ونحوها ؟ ام الذي يداب ليلا ونهارا فى زراعتها بما يثمر نفعهم العاجل والآجل ويحضهم على ذلك جهده باذلا مهجته وماله فى القيام بشئونهم الدينية على قدر وسعه » يفهم من هذا المثال ان منزلة تعليمنا على النحو السابق للنابتة هي بمنزلة

غرس الشوك والاثل الخ . فى ارض مخصبة ومنزلة تعليمه لتلامذته بمنزلة زراعة الارض المخصبة بالحبوب وغرسها بالاشجار المثمرة ولكنا نسائل الامة نفسها ماذا انبت لها فى ارضها المخصبة التي اجهد نفسه وبذل ماله فى زراعتها مدة تتجاوز الثلاثين سنة ؟ فهل انبت لها تلك النباتات المثمرة النافعة كما يزعم ؟

او انبت لها شوك الفتن وحنظل الاخلاق الفاسدة ؟ واذا كان الواقع يجيب بالثاني فكيف يتصور اذا ان يزرع قمحا فينبت حنظلا وشوكا فلا يخلو اما ان يكون ما زرعه حنظلا واما ان تكون سنة الله قد تخلفت ، ولن تجد لسنة الله تبديلا »

ثم ان فى كلامه مهمزا مسموما طعن به العلوم التي جاء بها القرءان الكريم على ما سمعت بجعلها اثلا وكشوتا وشوكا وحنظلا وسدرا ونحوها وطعن به القائمين بها بجعلهم الغارسين لها كما ان فيه مدحا لنفسه وتعدادا لنعمه « وهو كما تعلمه الامة » وهذا نهاية فى الخبث وبراعة فى التدجيل والتضليل والشعوذة .

ليت شعري كيف يصدر هذا من رجل يدعي التمسك بالقرءان والحض على السنة وءاثار السلف : وكيف يتسنى له ان يقول « ان كلامنا اولا وءاخرا معه واشياعه ويرشق بنبال الطعن علوما اسلامية اجمع العالم الاسلامي على طلبها وادرك انه لن يقدر ان يسترد تراث اجداده المقدس

الا باستردادها من غيره ؟ فهل خلق هذا دخيلا فى الاسلام معينا عليه لا له ؟ ام يرى ان العالم الاسلامي كله مختل العقل وعقله وحده صحيح وان خالف القرآن والسنة والاجماع ؟

قال « واما توقع هذا المغرور استنارة قلوب الصبيان بالعلوم المذمومة » الخ هذا صريح فى جعل العلوم العصرية مذمومة وهو يناقض ما اشار اليه قبل من الاعتراف باحقيتها فى قوله « وادعاء هذا السفيه انكاره التعلم على الاسلوب العصري مجازفة »

ثم اننا نبشر ذلك الحقود بوقوع استنارة قلوبهم وظهور اغلاطه الفادحة ونقائصه الكثيرة لها * واذا الحق جاء زال المراء *

قال « منها ما تقدم من تنقيص اسلوب النبيء صلى الله عليه وسلم الخ » هذا وما ياتي كله كذب وافتراء وزور وبهتان لاينهض له حجة وقد علمت بيانه مما مر وهو يدل على ما للرجل من الخبث والدناءة وسقوط الهمة واشتغاله بالسفاسف وما لايعنى مما يانف ان يخوض فيه الصبيان فضلا عن « البحور الزاخرة وعلماء الآخرة الذين يزرعون لامتهم اثمارا نافعة »

قال « فقد قيل لي مشافهة على وجه الازدراء الخ » هذا منه كذب ايضا تعودنا مثله منه ولئن كان شيء من ذلك فقد كساه ثوب التمويه والتلبيس وهو عين ما قاله سابقا فى صفحة ١٥ « حتى انهم ليقولون يكفي فى البلد الواحد فقيه واحد الخ . » وقد ذكرنا اذ ذاك ماهو الحقيقة وكرره هنا ايهاما بكثرة حججه وتعددها .

قال « حتى ان هذا السفيه انشد بحضرته قول ابي نصر — رحمه الله — صحيح اعتمادي واعتقادي ومذهبي الخ . » هذا منه كذب ايضا ولعل بعض السفهاء من اذنابه اتخذهم يتلقفون له امثال هذه السفاسف ويسترقون له السمع كالشياطين من سماء المصلحين فيتخذها كسلاح وعدة عندما يصعق بشهاب منهم . أهذه غروسه النافعة وزروعه المغذية للامة ؟ اللهم ارحم ضعف هذه الامة المسكينة من هؤلاء الذين يقتلون مجدها وعزها باسم مصلحتها .

قال « وقضية رمضان الماضي شاهدة عليهم فقد اظهرت منهم ما كان خفيا الخ » يفهم القاري من عبارته اننا احدثنا حدثا فى الاسلام وانتهكنا حرمة رمضان المعظم الخ والواقع بخلاف ذلك فاننا انما عملنا بالسنة وآثار السلف الصالح وصحيح المذهب .

وذلك ان هلال رمضان رآه بعض منا ليلة الثلاثين من شعبان ولم يحققه منهم الا واحد عدل عندنا امين ولم يسعنا الا العمل برؤيته بناء على حديث الاعرابي وعلى ما صححه الشيخ عامر فى الايضاح وعمنا يحي فى الصوم والشيخ يحي فى الوضع والشيخ اسماعيل فى القواعد والشيخ عبد العزيز فى النيل واستاذنا الشيخ اطفيش فى الجامع رحمهم الله ورضي عنهم وبعد البحث والنظر جزمنا بذلك واعلنا به وبعد هذا اقبل ستة نفر من اخواننا النفوسيين وشهدوا برؤيته ايضا . هذه هي حقيقة قضية رمضان التي

بنى عليها هو ومن على شاكلته قصورا من الخيالات وحصونا من الاوهام .

فلو كان هو هنا وكان الامر بيده وصارت مثل هذه القضية فماذا يسلك يا ترى ؟ وماذا يعمل ؟ هل يترك العمل بالحديث وآثار السلف ونصوص المذهب وهو يدعي التمسك بها ؟ او يعمل بها وينتقد على نفسه كما انتقد علينا (والناس فى الحق سواء) ؟

ثم ان ذكره هذه القضية هكذا مبهمة مجملة دليل على افترائه وكذبه لان ذكرها بالتفصيل على ما هي عليه يفضحه ويفوت عنه جعلها كحجة . وماذا يعني بقوله « واظهرت منهم ما كان خفيا على الاجال ؟ » هل اظهرت منا الخروج من الدين او الخروج من مذهبنا الشريف ؟ او اظهرت منا شدة التمسك بالسنة وآثار السلف الصالح والعمل بما فى كتبهم النفيسة .

قال « ومنها اشتغالهم والتهاجهم بانشاء الخ » يستنتج القاري الفاضل من هذا ايضا ما عليه هذا المسكين من خبث النفس والحسد الممقوت مما يتنزه عنه العوام فضلا عن قادة العلماء العاملين الذين يزرعون لامتهم اثمارا نافعة للآجلة والعاجلة . وذمه للاشتغال بفن الشعر والادب الذي لا يفهم الشرع الا به هو ذم للشرع نفسه .

قال امام البلاغة الشيخ عبد القاهر فى دلائل الاعجاز فى الكلام على من زهد فى رواية الشعر وحفظه وذم الاشتغال بعلمه وتتبعه :

« لا يخلو من كان هذا رأيه من امور : احدها — ان يكون رفضه له

وذمه اياه من اجل ما يجده من هزل او سخف وهجاء وسب وكذب وباطل على الجملة . والثاني ـ ان يذمه لانه موزون مقفى ويرى هذا بمجرده عيبا يقتضي الزهد فيه والتنزه عنه . والثالث ـ ان يتعلق بأحوال الشعراء وانها غير جميلة فى الاكثر ويقول قد ذموا فى التنزيل .

وأي كان من هذه رأيا له فهو فى ذلك على خطا ظاهر وغلط فاحش وعلى خلاف ما يوجبه القياس والنظر وبالضد مما جاء به الاثر وصح به الخبر.

اما من زعم ان ذمه له من اجل ما يجد فيه من هزل وسخف وكذب وباطل فينبغي ان يذم الكلام كله وان يفضل الخرس على النطق والعي على البيان . فمنثور كلام الناس على كل حال اكثر من منظومه . والذي زعم انه ذم الشعر بسببه وعاداه بنسبته اليه اكثر لان الشعراء فى كل عصر وزمان معدودون والعامة ومن لا يقول الشعر من الخاصة عديد الرمل ونحن نعلم ان لو كان منثور الكلام يجمع كما يجمع المنظوم ثم عمد عامد فجمع ما قيل من جنس الهزل والسخف ترا فى عصر واحد لاربى على جميع ما قاله الشعراء نظما فى الازمان الكثيرة ولغمره حتى لا يظهر فيه . فانك لو لم ترو من هذا الضرب شيئا قط ولم تحفظ الا الجد المحض والا ما لا معاب عليك فى روايته وفى المحاضرة به وفى نسخه وتدوينه لكان فى ذلك غنى ومندوحة ولوجدت طلبتك ونلت مرادك وحصل لك ما نحن ندعوك اليه من علم الفصاحة فاختر لنفسك ودع ما تكره الى ما تحب .

هذا وراوي الشعر حاك وليس على الحاكي عيب ولا عليه تبعة اذ هو لم يقصد بحكايته ان ينصر باطلا او يسوء مسلما . وقد حكى الله تعلى كلام الكفار فانظر الى الغرض الذي له روي الشعر ومن اجله اريد وله دون تعلم انك قد زغت عن المنهج وانك مسيء فى هذه العداوة وهي العصبية منك على الشعر (الى ان قال) وان زعم انه ذم الشعر من حيث انه موزون مقفى حتى كان الوزن عيبا وحتى كان الكلام اذا نظم نظم الشعر اتضع فى نفسه وتغيرت حاله فقد ابعد وقال قولا لا يعرف له معنى وخالف العلماء فى قولهم (انما الشعر كلام فحسنه حسن وقبيحه قبيح) وقد روي ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم مرفوعا .

وان زعم انه انما كره الوزن لانه سبب لا يغنى فى الشعر ويلتهى به فانا اذا كنا لم ندعه الى السمع من اجل ذلك وانما دعوناه الى اللفظ الجزل والقول الفصل والمنطق الحسن والكلام البين والى حسن التمثيل والاستعارة والى التلويح والاشارة والى صنعة تعمد الى المعنى الخسيس فتشرفه والى الضئيل فتفخمه والى النازل فترفعه والى الخامل فتنوه به والى العاطل فتحليه والى المشكل فتجليه فلا متعلق له علينا بما ذكر ولا ضرر علينا فيما انكر فليقل فى الوزن ما شاء وليضعه حيث اراد فليس يعنينا امره ولا هو مرادنا من هذا الذي راجعنا القول فيه » اه . فاين ذلك الحاصل من تحقيقات هذا الامام فى فنه ؟ وماذا يقول فيها يا ترى ؟

قال « يحرضون على الاتحاد بالقول وهم ساعون فى الشقاق الخ. » نعم نحرض على الاتحاد لكن مع من ؟ وعلى ماذا ؟ هل مع السفهاء والافاكين والخاينين على السفاهة والافك والخيانة ؟ وهل تسمى مجانبة السفهاء والتشهير بهم لتحذرهم الامة سعيا فى الشقاق والافتراق ؟

ان هذا لمن غلطات ، علماء الآخرة ! وهل تعود مسئولية افساد المفسد علينا بعد بذل الجهد فى استصلاحه ؟ او على محركه ومفسده ؟ ويعلم القاري من هو .

قال « كانهم يرون ان قوله تعالى (كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون) خاص بغيرهم » ان الآية تتناول من يدعو الناس الى الشريعة فى زعمه ويخالفها فى الواقع . ويرى ان فصاحة القرءان مخالفة ومضادة لكلام الرسول وعلومه اثل وسدر وحنظل . ويلوث نفسه واشياعه بالاخلاق الرذيلة من حسد وغيبة ونميمة وكذب الخ .

قال « انه توجه ذات يوم الى وجيه بقصيدة تهنئة باملاك استفرغ فيها وسعه كذبا واطراء راجيا منه حسن جزاء الخ . »

لئن رآى هذا المتعسف حذف باب التهاني من قاموس الادب فقد اثبته فيه الادباء على اختلاف العصور . وما هو مستنده فى دعواه علينا الكذب ؟ وكيف يكون رجاء التلميذ من استاذه حسن جزاء عن تهنئة اوجبتها عليه اداب الاجتماع وعلاقة العلم وحق الشيخ أيجب ان نكون

مثله فى الجفاء ونكران الجميل ومقابلة الاحسان بالاساءة .

وقوله « فرجع يخفي حنين خسر الدنيا والآخرة الخ . » هل يرى ذلك الطامع ان خسران ذلك الجزاء هو خسران الدنيا والآخرة . هب انه علم خسران الدنيا فهل له ان يدخل فى غيب الله حتى يعلم خسران الآخرة ؟ ان هذا لجنون .

قال « ومنها ما حكي عنهم من تحليل بعض صور الربا والبيوع المنفسخة وانواع الظلم والاعتداء الخ . » هذه من اراجيفه واكاذيبه التي يعلم مقدارها من عرفه . وياليته فصل شيئا من ذلك ودعمه بحجة حتى يكون له حظ من الصدق . وهل يعلق باذهان العقلاء قولنا فى زيد مثلا المشهور بالفضل والصلاح « انه غاصب سارق كاذب ظالم الخ . » من غير بينة .

قال « قد اتفق الموحدون على ان احكام شرعه صلى الله عليه وسلم لاتنسخ الخ . » عجيب من — وجل الآخرة — يفرض من نفسه شيئا ويراه كالواقع فينتقده هو — كاللص المتعود بالسرقة عند ما لا يجد ما يسرق يكمن متخافتا فيسرق ثوبه .

فتى قلنا نحن ايها البليد ان احكام شرعه تنسخ . وهل الدعوة للعمل بالشرع العزيز وبما تضمنه تعد نسخا للشرع ؟ او لم يكن باب الاستحسان والمصالح المرسلة مفتوحا فى الشرع ؟ اولا يجدر بهذا ان يشد راحلته ليتعلم دينه ؟

قال « قال فى المدخل كل من زاد حكما فى احكام الدين الخ . » بل قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم من احدث فى امرنا ما ليس منه فهو رد وفى رواية من عمل عملا ليس عليه امرنا فهو رد . وهذا كله حجة عليه لا له فقد نقص اشياء من القرءان والسنة وزاد اشياء لم تكن منهما وقد ذكرنا شيئا منها سابقا .

قال « ومنها ما يحكى عن بعضهم من انكار معراج النبيء صلى الله عليه وسلم من المسجد الاقصى الى السماء الخ . » هذا منه كذب بحت لم يقل به احد ولئن تكلم احد فى ذلك فانما حكى الخلاف الذي وقع فيه . هل بجسمه وروحه صلى الله عليه وسلم ؟ ام بروحه فقط ؟ ومن ادعى غير هذا فعليه الدليل .

قال « وانكار كرامة الاولياء الخ . » لم يقل احد منا بذلك اصلا بل نراها حقا ثابتا . وقوله « وانكار وجود ردم ذي القرنين الخ . » لم ينكر احد ذلك والقرءان صريح بهذا وانما حكى بعضنا ما خاض فيه العلماء فى اي مكان هو ؟ وهل هم خرجوا ام لا ؟ وهل يعد الحاكي لخلاف العلماء فى مسالة انكارا لها . وقوله « وانكار كون السموات سبع طباق منفرجة الخ . » لم ينكر احد ذلك ايضا وانما حكى ما ذكره الباحثون فيهن هل تلك السبع من كواكب من جملة الكواكب مثل كوكب الارض ؟ ام هي طبقات من فضة وذهب وزبرجد الخ .

قال « فنحذركم معشر — امتنا — الوطنية عموما وءاباء الصبيان

والاحداث خصوصا نصحا للدين ولابناء الوطن الخ . » يعني بترك تعليمهم العلوم التي يزاولونها وقصرهم على اسلوبي — الحكيم — واخلاقي التي رايتم انموذجا منها منذ ثلاثين سنة وعلى تعليمهم علم الفصاحة والبلاغة المخالفة لكلام الرسول نصحا للدين ولابناء الوطن ليشبوا مثلي على زهد وورع وتقوى فيحصلوا مثلي على رضاء الله ورضاء الوالدين ورضاء المشايخ ورضاءكم ورضاء الحكومة »

الا لعنة الله على امثال هؤلاء الناصحين الذين ينصحون لانفسهم لا للدين وابناء الوطن . فاذابناء الوطن فى الحقيقة بغنى عن نصح هؤلاء المموهين المشعوذين .

قال « وبمضرها كعلم اهل البدع وشبه اهل الاهواء » من يقصد بهذا يا ترى ؟ هل اهل العصر الحاضر الذين كان بالامس يتظاهر بالدفاع عنهم عند مسيس حاجته ويقول ان كلامنا اولا وءاخرا معه واشياعه ؟ او الجنون والشياطين الذين لا علاقة لنا بهم ؟ ومن اي نوع هو وما ذا يغرس فى قلوب تلامذته حتى يرغب فيه الامة ؟ وما هي تربيته لهم ؟ وما هي اخلاقهم ياترى ؟ ان الواقع هو الكفيل بالجواب عن هذه الاسئلة .

قال « فاذا سبق الى قلبه اولا علوم الالحان واشعار السخف والمجون الخ . » لم يدخل لقلوبهم غير ما ادخله عمر رضي الله عنه للاولاد من حفظ اشعار العرب الحكمية والحماسية والدينية ولم يعرف واحد منهم من اشعار

السخف والمجون شيئا ولا من علوم الفلسفة والهذيان غير العلوم التي تبحث فى اسرار الكون وتربي عظمة الله وجلاله فى القلب .

ان من السخف انشاد مثل قول الشاعر والاستشهاد به للتلميذ الغر

اعد نظرا يا عبد قيس لعلما * اضاءت لك النار الحمار المقيدا

ومن الهذيان مثل القول بان الشمس اذا غربت توضع فى سفينة وترجع فى البحر الى جهة المطلع .

اما نحن فقد زارنا كثير من الفضلاء المخلصين وسمعوا عن الاولاد من الاشعار والقصائد ما سمعوا فهل عرض لهم فى اثناء ذلك بيت من السخف والمجون وهل تسمح همتنا لهم بذلك ونحن لم نهرب بهم الى هنا الا لحفظهم من الرذيلة التي لوث بها وطننا وسمم جوه ذلك الرجل الخبيث

قال « ومنها تعويد التنعم والرفاهية لهم فانه مما يضر الصبي »

ان الزفه والاقتصاد فى المعيشة يتبعان احوال البلاد واوساطها فرب اقتصاد فى بلد يعد ترفها فى اخرى ورب ترف فى هذه يعد اقتصاداً فى تلك وما نحن عليه وان كان فى نظر بعض البلاد ترفا ورفاهية فهو بالنسبة للوسط الذي نحن فيه اقتصاد واين ما نحن عليه مما عليه اهل الرفاهية هنا فليخفف الحاسد عن نفسه الضعيفة شيئا من ضغط الحسد وليبرد قليلا من ناوها حتى لا تحترق كبده وليناقش نفسه اولا فى ذلك الغذاء المعلوم عند سرد الرسالة فى تلك الحديقة بحضرة ذلك الخائن المشهور .

قال « ومنها القاء بذر فتنة شعوب وطنهم فى صدورهم فلا يزالون ينفثونها فيهم وينشئونهم على نحن وهم وهذا منا وذلك منهم »

هذه من جملة اراجيفه وايغاره للصدور فان هذا لم يقع . والحالة الراهنة تكذبه . واننا لم ننفك نزيل الحوائل والفروق الوهمية المبنية على مبدا : هذا منا وذاك منكم . ونتفخ فيهم روح الاتحاد والتضامن على تحصيل العلم وخدمة الملة والدين . ولكن وجود بعض سموم الرجل وجراثيمه بيننا اضطرتنا لتحذيرهم منها واخذ الحيطة من عدواها لا على معنى انه من القبيلة الفلانية او البلد الفلاني فان هذا لم يخطر ببالنا وليس من شيمنا ولا دخل له فى الموضوع والمسلمون الصادقون من اي بلد وقبيل اخوة اعزاء ولو سبق هو لخدمة البلاد والعباد بصدق واخلاص لكنا اول من يناصره ويعاضده .

ولكن على معنى ان هذا الرجل عبارة عن مستنقع تنبعث منه العفونات والجراثيم السامة الفتاكة وخصوصا باسم الدين والمصلحة وهو لم يعرف لهما فى الحقيقة معنى .

قال « ولقد بالغ بعضهم فى ذلك حتى كان لا يقبل من الاحداث والصبيان الا احداث شعبه او قبيلته وصبيانهم الخ » هذه اكذوبة اشاعها بعض المرجفين من اذنابه فعلقت بذهنه السقيم والواقع بخلاف ذلك كله وحالته شاهد صدق على ما نقول ولئن تحرز فى بعض الاحيان وتوقف فى قبول بعض اولاد فقد تحرز وتوقف ايضا فى قبول غيرهم وسبب التوقف واحد وهو

اختلال شرط فيه يراه اساسا لقبوله وهذا لا يغاربه من يعرف نظامات التشاريع الاساسية . وانظر ايها القاري الكريم كيف يمكن التوفيق بين التنديد على عدم قبول الاحداث والصبيان وجعله مثيرا للفتنة والضغينة وجعل قبولهم من الاعتصام بحبل الله والاخوة فى الدين وبين ما بنى عليه الرسالة من اولها وخصوصا قوله « انهم الساعون فى اهلاك امتهم بافساد قلوبهم وفطرهم » فكيف يكون ابعادهم من افساد قلوبهم وفطرهم مثيرا للفتن والضغينة وقبولهم لغرس الاثل والحنظل فيها اعتصاما بحبل الله واخوة فى الدين ؟ ابعد ابعاد الفاسد لصاحبه عن الفساد اثارة لاحقاده وقبوله شريكا له فيه اعتصاما بحبل الله ؟ كلا !

فلا يسعه اذاً الا احد امرين : اما ان يكذب نفسه فيما قال من اول الرسالة ومما اجهد نفسه فى اشاعته على الملاسنين عديدة ، واما ان يحمد الله على سلامة اوائك البعض من الوقوع فى الفساد والزيغ والضلال ويجد ضنيع ذلك البعض ويثني عليه الثناء الجميل ويحذف تلك الجملة من الرسالة .

قال « فما ارى هذا الضال الا قد ادخل نفسه فى زمرة من قال الله فيهم ﴿ يامرون بالمنكر وينهون عن المعروف ﴾ الخ »

يرى هذا المخذول ان التقوى وترك الاغراض والخيانة منكر والامر به امر بمنكر ، ويرى تضحية المصالح الدينية والوطنية معروفا والنهي عنه نهي عن معروف . ونحن لا نرى هذا المتعامي عن الحق الا قد ادخل نفسه فى

زمرة من قال الله فيهم « واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم » الآية. فاننا لم نأمره الا بالتقوى وترك الاغراض والخيانة جانبا ولم ننهه الا عن تضحية المصالح الدينية والوطنية لاجلهما .

قال « اذ يبعد كل البعد ان يخفى على من ينتحل الاسلام حقيقة ما نامر به من الاشتغال بتعلم العلوم الشرعية اولا ونبذ غيرها »

يعني ما يامر به من الاشتغال بتعلم ما يراه هو فى مخيلته من العلوم الشرعية لا ما يراه القرآن والسنة وآثار السلف ونبذ ما يراه هواه وانانيته غير علوم شرعية من التوحيد والتفسير والفقه وفلسفة الاخلاق والاجتماع والكون وفصاحة القرآن وبلاغته وسائر العلوم العربية والعقلية والرياضية التي هي عنده اثل وحنظل وسدر والتي هي مخالفة ومضادة لكلام الرسول . ويبعد كل البعد ان يخفى على من ينتحل الاسلام بطلان هذا الزعم الفائل اللهم الا على من ران على قلبه واغلق على نفسه باب الحياة والعلم والعرفان .

قال « ثم ان تقرب الى الله بالنهي عن طاعته والامر بمعصيته كان ذلك منه شركا » نعم كل من تقرب الى الله بذلك وتمنى ان يتفضل عليه بقبوله فهو كما قال .

قال « فأصبح خاسرا نادما » كلا لم نقبل من مسلم صادق الا ما صدر من مكابر كاذب وتبيناه فأصبحنا نصراء حق على باطل غير نادمين بل مسرورين مستبشرين شاكرين الله الكريم على هذا النصر المبين .

قال « حق الآمر بالشيء ان يأتمر به اولا والا دخل » الخ . ومن حق المأمور ان يمتثل به ايضا . نعم نحن ايتمرنا بحمد الله وتأملناها وسعينا ولا نزال نسعى للعمل بمضمونها ونأمر الاهل والامة بما امرنا الله تعالى به من القيام بواجبات الدين وطلب العلوم والمعارف وننهاهم عما نهانا عنه من التهاون بأمر الدين والعكوف على الجهل والغرور ولسنا والحمد لله ممن يأمر الاهل والامة بالجهل وينهاهم عن العلم ويسعى لقتلهم واماتتهم لحاجة فى نفسه كما لا يخفى .

قال « فقال عليه الصلاة والسلام تنهوهن عما نهاكم الله عنه وتأمروهن بما امركم الله به ـ الحديث » ان الحديث الشريف حجة عليه لا له . فمن ينهاهن عما نهانا الله عنه ؟ امن ينهاهن عن طلب علوم القرآن ؟ ام من ينهاهن عن الجهل بها ؟ ومن يأمرهن بما امرنا الله به ؟ امن يأمرهن بالجهل ويصدهن عن تلك العلوم ؟ ام من يامرهن بالعلم بها والغوص فيها ليكونوا مسلمين كاملين ؟

قال « قالوا ودلت الآية على انه يجب على الرجال » الخ . وقال البيضاوي « قوا انفسكم » بترك المعاصي وفعل الطاعات « واهليكم » بالنصح والتأديب ولم يقل احد من المفسرين قوا انفسكم واهليكم بتركهم على الجهل بأمور دينهم ودنياهم وصدهم عن العلم بها وقد سمعت كلام صاحب النيل رحمه الله فى هذا الصدد .

قال « فان النصوح يجب ان يكون لينا صفوحا » واي لين اكبر من التعبير عنه بالجناب والسمو وعدم التشنيع عليه بذكر اسمه والتشهير به ؟ واي صفح اعظم من سكوتنا عليه ما ينوف على ثلاثة اعوام وعدم تعرضنا بعد ذلك الا لشيء يسير مما صدر منه وفاه به جهارا على رؤس الاشهاد على انه ان اراد ان يعرف التقريع الحقيقي فليقرأ الآيات الواردة فى شان المنافقين والمشركين . وان اوجعته قوارص كلامنا وتمنى ان يناله لينا وصفحنا فلا يسعه الا ان يقلع عن التمويه والتدجيل فما ضالتنا الا اتباع الحق والصواب ونصرة العلم واهله .

قال « ويتجاهر بالخناء » من يطلع على كتاباته اولا واخرا وعلى رسالته هذه فقط يعلم من يتجاهر بالخناء أمن يقتصر على بسط الحجة والبرهان ؟ ام من يتسلح بالالفاظ الاتية :

الاثام . البذي . الكذاب . التيس النطوح . الضال . الجاهل . الهالك . الفاسق . التائه . المعجب بنفسه . الغبي ، البليد . النذل . المفتري . الخاسر الدنيا والاخرة . التاجر بمال الغير . الوقح النطوح . الخبيث . الخسيس . الخناس .

ومثل ما ياتي : الالفاظ الركيكة والمولدة . والتراكيب الضعيفة الباردة والمعاني السمجة الفاسدة . ان هذا منه سقطة شنعاء لايقال له فيها لعا . وانما يحق ان ينادي به من كل جانب سحقا وتعسا . ونحو : فحجة عليه قاصمة

لظهره لا له كما يتوهم لفساد تصوره واختلال فكره ونحو : فعثرة اكبته على منخره فى هوة البوار والبس بها نفسه ثوب الخـزي والعار . ونحو : وليت شعري اهذا الخبيث جاهل جهلا مركبا فهو يمشي على وجهه مكبـا الخ . !

على ان امثال هذه الالفاظ وان تعددت وتكررت فـلا تنهض له حجة ولا تعضد دليلا بل تدل على ضعف صاحبنا وكساد بضاعته وفلول سلاحه وخصوصا اذا اعتمدها واتخذها اكبر عدتـه وعلى الاخص اذا كان اساسهـا كذبـا وافتراء كما تدل على قصر نظره وضيق صدره وشدة حمقـه وخبث نفسه وعدم اكتراثه بالوقت الثمين وعلى مقدار تدينه وزهده وورعه ونسكه ونصحه وحرثه وغرسه الخ .

نعم وقع الانتقاد على مسالة التعليم واسلوبه ومكانته فما حمله على الافتراء والسب والشتم للاحياء والاموات والخوض فى مسالة المعراج وردم ياجوج وماجوج وكرامة الاولياء وطبقات السموات وقضية رمضان الخ . فان كان له جواب صحيح مقنع فليات به والا فلينصف ويرجع للصواب كما هو داب السلف الصالح ومن يقتفي اثارهم حقيقة .

قال « كيف بمن جعه معه التوحيد والمذهب والشعب (كذا) والوطن »

كان هذا المسكين نسي هاته العلائق فى ليلـة ٢٩ رمضان سنة ١٣٤٠ وما قبلها او تناساها حتى ملا مجالسه بالغمز واللمز والطعن والشتم والتكفير والتضليل ولم يراقب اذ ذاك الاولاذمة ولم يتذكر انله وسائل للمفاهمة والاقناع

قال « ما الحامل له على ذلك النصح بل ما تلهب فى قلبه من نار الحسد الخ . »

على ماذا يحسد هذا المسكين ؟ اعلى خبث نفسه وسوء خلقـه ؟ ام علي براعته فى التغرير والتضليل وبث سموم الشقاق منـذ طفوليتـه ؟ ام على منزلته عند الخونة ومحركيهم من المستبدين ؟ ام على غضب مشايخه ووالده وسخط الامة عليه ؟

قال « ثم ما غرضنا بهذا الرد الا تنبيه الامة من خداعه وترهاته » هذا هو السبب الظاهري والسبب الباطني ما هو ياترى ؟ لقد انجلى الامر ووضح الصبح لذي عينين واتتج هذا الرد تنبيه الامة من خداع الرجل وترهاتـه وصدقنا والحمد لله فيما قلناه وخدم الحقيقة خدمة جليلة وازال ماكان عالقـا باذهان العامة من الشكوك واصبحت الامة كبيرها وصغيرها خاصتها وعامتها ساخطة عليه وساخرة ببضاعته الكاسدة فقد ظن ببلهه ان الامـة بلهاء مثله تروج عليها سلعته وتنخدع لها ولم يدر ان الامة نبيهة زالت عنها تلك الغشاوة وسارت مراحل وتركته يتخبط فى جهله وجموده . ولو يعلم ما فاه به الرجال الفحول فى شانه من عبارات التحقير بعد ان كانوا يعتقـدون فيـه شيئا وما لاقوا به رده من ضروب السخرية والازدراء لقطع اليد التي كتبته واللسان الذي املاها ولأحرق المخ الذي تمخض عنها ولكن

من يهن يسهل الهوان عليـه ما لجـرح بميـت ايـلام

ولقد حط من كرامة قوميته ومذهبه صدور مثل تلك الرسالة من رجل يعد بحرا زاخرا فى البلاد وقدوة العلماء العاملين ؟ يا للعار لولا وجود بعض العاملين المخلصين الذين سدوا شيئا من تلك الثلم الفادحة التي احدثها فى سورهما ظانا بجهله انه يشيده ويقويه.

قال « واما هو وامثاله فهم بمعزل عن الخير لما استولى عليهم من الكبر وحب الجاه والمنزلة والمال والاستطالة على الاقران »

نحمد الله على ان الخير لم يكن بيدي هذا المحتكر الانانى ولكنه فى يد الله تعالى فنحن لانزال بحمد الله ومنه وكرمه منغمسين فى الخير وطالبين من جوده المزيد لما استولى علينا من الكبر على ذوي السفاهة والتجبر و من حب الجاه والمنزلة عند الله تعالى ولسان صدق فى الآخرين لنصرة الحق واعلاء كلمته ومن حب القدر الكافي من المال للقيام بالدعوة والارشاد ونفخ روح الحياة والنهوض فى امتنا العزيزة ومن الاستطالة على المموهين المضللين . ولسنا والحمد لله ممن استولى عليه الكبر والانفة من الحق وحب الجاه والمنزلة عند المستبدين وحب المال وجمعه لاماتة حق واحياء باطل والاستطالة على المصلحين وابتياع الشهرة والرئاسة الوهمية بوريقة مدلسة .

قال « ولاسيما هذا التائه فى اودية الخيلاء الخ . » هذا من جملة تخبطات الرجل فى الظلماء والا فمن ابن له ان كاتب المقالة هو ابو اليقظان

نفسه الم يكن نصوح فى الدنيا الاهو ؟ على اننا لم نعجب بانفسنا فى شيء ولا ادعينا شيئا غير الاعتراف بالعجز والتقصير امام الرجال الفحول المخلصين الرافعين لراية الحق والعلم . اما امام الدجاجلة والمموهين والخائنين الرافعين لراية الباطل والجهل فلنا معهم فى ميدان المقارعة جولات .

قال « لما ان تلقب بشاعر المغرب الخ . » قطع الله يدنا ان كتبتها او اشارت اليها . والعجب من هذا الحاسد يضم لحسده الممقوت رذيلة الكذب ويدعي التمسك بالدين فى آن واحد . ولئن لقبنا بهذا منة من الله وفضلا أفلا يفتخر هو بوجود رجل من امته منحه هذا اللقب فحول الكتاب والادباء من الصادقين . وقد اثار تحككه الغريب بشاعر المغرب عاطفته الشعرية فجادت قريحته بالابيات الاتية فليذقها منه ذلك الحاسد كفال لما سيلحقه ان تمادى على غروره

ان البلاد حياتها ومماتها * برجالها الاخيار والاشرار
فالاولون مجددون لمجدها * ورقيها في سائر الاطوار
يتطلبون لها حياة ما بها * كدر ولا شيء من الاوزار
يستنقذون حقوقها وحظوظها * برويـة وسكينة ووقار
يتحملون لأجلها بشهامة * كل الأذى والبؤس والاخطار
يستعذبون لعزها مر العذا * ب وسائر الآلام والاضرار
يستجلبون من المعارف ما يضي * ء لها السبيل بحالك الاعصار

يتطورون مع الزمان لجلب ما * فيه الصلاح ودفع كل طوار
بعد التمسك بالكتاب وسنة * المختار والاجماع والآثار
وتيقنوا ان الجمود «وعصرنا * يمشي بنا» يفضي لكل دمار
اذ لا محيص لجيلنا من دورة * ان لم تكن برضى فبالاجبار
هذا هو المرمى الذي يرمي اليـ * ـه المصلحون بغاية الاظهار

***

والآخرون مبددون لشملها * ولما لها من عزة وفخار
يتساومون بأبخس الاثمان في * سوق الفساد مصالح الاقطار
يقفون في سبل النهوض كثرة * ويعاكسون مجاري الانهار
يسعون في قتل المشاريع التي * فيها الحياة لسائر الامصار
يتسابقون الى ابادة كل ما * يبدو من الاصلاح والافكار
يتألمون من العلوم اذا بدت * أنوارها كاللص من أقمار
يتحسرون اذا رأوا في ساحة * الحق العزيز تكاثر الانصار
يتعززون اذا تعزز جانب * السفهاء والارذال والفجار
يخشون من ظل الموظف ضعف ما * يخشونه من قوة الجبار
يتهافتون على فتات موائد * الجهلاء والدخلاء والاغيار
من بعد ذا يتظاهرون بأنهم * أهل الصلاح حماة كل ذمار
كتظاهر «الرجل» الغبي بأنه * من قادة العلماء والابرار

الزاهد الورع التقي الناسك * «العلوي» للاسلام غير منار
جهل المغفل قدره ومقامه * اذ لم يزنه بكفة الاقدار
كتب «الرسالة» حاسباً انقد أتى * بدلائل الاعجاز والابهار
فاذا به «كشف اللثام» بنفسه * عن جهله فرأوه بالابصار
متقنعاً ثوب الرياء يشف عن * وجل خبيث ماكر غدار
حيناً تشبه بالرسول وتارة * بالنعل «يا للخزي يا للعار»!!
يدعو الى الدين الحنيف بقتله * روح النهوض ونسفه بالنار
ويكفه شمس العلوم بكفه * خوف الفضيحة من سنى الانوار
ووقاية الاحداث من سريانها * سجناً لهم في أعمق الآبار
ويرى رقي الدين في اسلوبه * اذ كان نفس طريقة المختار
لكن لماذا مر عن تعليمه * جيل ولما يات بالأثمار؟
بل ما أتى الا بحنظل فتنة * وبشوك اخلاق وكل بوار
يا أيها المغرور مهلا لا تطر * من غير اجنحة لغير مطار
هون عليك فأنت «لا كعباً بلغـ * ـت ولا كلابا» يا حليف الفار
وتنكبن كي لا يفترك الزحا * م فلست من فرسان ذا المضمار
أما صباح علومه فلا كبر * من أن تمانعه عن الاسفار
وشموسها لا تنطفي من نفخة * المعلول أو من ثفلة المختار
أما الرقي فليس في طوق القوي * أيقافه أصلا عن التسيار

فلسانه يدعو الانام الى الاما * م الى الامام بعزة القهار

هذا ما قلناه ولندع ما قاله فيه شعراء المشرق شفقة عليه .

قال « وتكنى بأبي اليقظان » الخ . نحن لم نتكن بذلك اعجابا وخيلاء ولكن تعززا بعظماء اسلافنا الكرام وانتسابا اليهم واحياء لذكرهم عكس ما يموه به الرجل عنا .

قال « وحسب انه بمجرد الكنى والالقاب ينخرط فى زمرة اولي الالباب» كلا نحن لم نحسب ان الانخراط فى زمرتهم بمجرد ذلك او بأوراق وهمية ولكنا نعتقد ان الاحراز على ذلك انما هو بالكد والجد والسعي والسهر ومقاساة اهوال الاغتراب وهجران المضاجع . وهل يحسدنا الرجل بعد ان من الله علينا بنعمة من فضله وكرمه لا بعملنا ؟

قال « والنعل حاضرة ان عادت العقرب » ها هي العقرب عادت مرارا وسقته سموما ناقعة حتى اصيب بخبل فى عقله ولم ينفك عن الهذيان تارة وعن البكاء وعض بنان الندم اخرى ، فأين نعله الحاضرة .

ان الحق اذا نهض نهوض الاسد من غابه لا تؤثر فيه المدافع القاصفة فضلا عن نعالك المرقعة ايها الاهوج فخفف من غلوائك واشفق على نفسك فانها لم يخلقها الله لك لان تكون آلة للفساد وهدفا للخزي والعذاب . وانما خلقها لان تكون معملا للصلاح ومحلا للشفقة ، واختر لنفسك ما يحلو .

خاتمة

١ متناقضات الرجل :

يرى المتصفح لرسالته من المناقضات والاضطرابات نحو ما ياتي :

« قدوة العلماء العاملين داحض شبه المبطلين المقتفي سيرة السلف الصالحين. وبعد فهذا جواب عن مقالة بذي كذاب متجاهرا فيها » الخ . قدوة العلماء ثم يفتح كلامه بالثلب والسباب .

« العالم بانشاء الشقاشق الهذرية — بعد الاعراض عما فى عبارته من الالفاظ الركيكة والمولدة والتراكيب الضعيفة الباردة والمعاني السمجة الفاسدة . عالم بالانشاء فصيح متجاوز الحد ذو عبارات ركيكة » الخ

« أم يرى ان اتباعه والتأسي به خاص بغير اسلوب التعليم ام بما قيل انحطاطه ونقصانه — وادعاء هذا السفيه عليه انكاره التعليم على الاسلوب العصري مجازفة » ينكر هذا الاسلوب و يراه مخالفا لاسلوب الرسول اولا ويعترف به ثانيا .

« وما ذلك الا لغرض لهم شخصي وهو ما يحصلونه من احسان الآباء اليهم باعطاء الحقوق لهم والتبرعات » الخ — « لما استولى عليهم من الكبر وحب الجاه والمنزلة والمال والاستطالة على الاقران » . جعلهم اولا متسولين

شحاذين متذللين للناس ، وثانيا ذوي كبر وحب جاه ومنزلة ومال واستطالة على الاقران »

« فما انكرنا عليه وعلى حزبه الا حمل الناس على اسلوبهم الذي اخترعوه وبهتوا به اهل العصر الحاضر ومن قبلهم فى مدة اربعة قرون — تنبيها لمن اراد صيانة ولده عن الاخباث منها عمارة قلوبهم ابتداء بفضول العلوم كالجغرافية وبمضرها كعلم اهل البدع وشبه اهل الاهواء » الخ . يدافع اولا عن اهل العصر الحاضر ويبهتهم ثانيا بجعلهم اهل بدع واهواء وجعل علومهم اما مضرة او فضولا .

« وانما شننت الغارة عليه وعلى اضرابه الخ — فانه ما حكم بالضلال الا على الولد الضال — وعلى المضل له » الخ . قصر اولا شن الغارة عليه وعلى اضرابه وقصر الحكم بالضلال على الولد الضال والمضل له الخ فهل من فرق بينهما

« اذ هم الساعون فى اهلاك امتهم بافساد قلوبهم وفطرهم السليمة المستعدة لقبول التعليم — ولقد بالغ بعضهم فى ذلك حتى كان لا يقبل من الاحداث والصبيان الا احداث شعبه ولم يلتفت الى قوله تعلى * واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا * انما المؤمنون اخوة » جعل القيام بهم اولا سعيا فى الاهلاك والافساد وجعله ثانيا اعتصاما بحبل الله واخوة فى الدين .

« واما السلف الصالح فما كانوا يسافرون ويتجولون الا لطلب علم اصول الدين او فروعه او مقدماته او متمماته — واما توقع استنارة قلوب اولئك

الصبيان بالعلوم المذمومة » الخ . اعترف اولا بأن الاسلاف كانوا يسافرون لتلك العلوم وجعلها بالنسبة الينا علوما مذمومة * يحلونه عاما ويحرمونه عاما »

« لا حال من يرشد الناس الى الاشتغال بالعلوم الشرعية ويحثهم على التمسك بالسنة النبوية والاقتداء بالسلف الصالح — والاعانة على تعلم الانشاء والفصاحة والعلوم العقلية مخالفة ومضادة لقوله صلى الله عليه وسلم * من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين * فيغرسها اثلا وكشوتا وشوكا وحنظلا وسدرا ونحوها » . عد نفسه اولا ممن يرشد الناس الى الاشتغال بالعلوم الشرعية الخ وجعل ثانيا تعلم الانشاء والفصاحة والعلوم العقلية مخالفاً ومضاداً للحديث وانها اثل وكشوت وشوك وحنظل وسدر الخ .

« وفقه الله لاخلاص عمله وتفضل بقبوله — ثم ان تقرب الى الله بالنهي عن طاعته والامر بمعصيته كان ذلك منه شركا لانه تقرب بمعصية » . جعل عمله الذي نبهنا على فساده تقربا الى الله وطلب منه قبوله وحكم على من تقرب الى الله بمعصية بالشرك .

« الا ما تلهب فى قلبه من نار الحسد والبغضاء — ظن انه اوحد ابناء الزمان لما ان تلقب بشاعر المغرب » . عاب عنا الحسد اولا وحسدنا هو ثانيا على ذلك اللقب .

« ولكن ما الحيلة والرجل لا يرى لسلفه فضلا ولا لكلامهم وزنا — وتكنى بأبي اليقظان » . نفى عنا اولا اجلال سلفنا والاحتفال بهم وبذكرهم

واثبت لنا ثانيا الاعجاب والخيلاء بالتكني بهم تعززا بهم وتفاولا بأسمائهم .

وعلى هذا فقس تر ما عليه الرجل المخذول من الذبذبة والاضطراب والاختلال فى اقواله وافعاله فبينما تسمع صياحه وصراخه تنديدا على تعلم العلوم المذكورة جهارا على رؤوس الملا اذا به يكاتب بعض اذنابه سرا ـ على ما يقال ـ « بأن اقعدوا وتعلموا وكلامي ليس معكم » الخ وهكذا وقد رأيت استحسانه قبل ايضا .

٢ اغلاطه النحوية واللغوية :

يرى القاري الكريم بداهة ما ارتكبه ذلك الجاهل بالنحو واللغة من الاغلاط فى هذه الوريقات ونلخص له شيئا منها فيما يلي :

اغلاطه النحوية :

١ — قوله « فهذا جواب عن مقالة بذي كذاب متجاهرا فيها » الخ . ارتكب فيه خطاءين الاول اتيان الحال من النكرة ، والثاني اتيانها من المضاف اليه . ولئن تملص فى الاول وقال ان له مسوغا لذلك وهو تخصيصها بالصفة فهل يجد مسوغا للثاني ويقول ان المضاف قد اقتضى عمله او انه جزء من المضاف اليه او مثل جزأيه ؟ كلا ، فليس ذلك لا من نحو قوله تعلى : « اليه مرجعكم جميعا » ضرورة ان مقالته هنا اسم لطائفة من الكلام لا مصدر . ولا من نحو قوله تعلى « أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً » ولا من نحو

قوله تعلى « ثم أوحينا اليه ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا » اللهم الا اذا تستر بمذهب الفارسي ان قلنا انه مطلع عليه .

٢ — قوله « انقص عن اسلوبه » وصل اسم التفضيل بعن ولم يسمع هذا عن العرب وانما يوصل بمن كما هو معلوم عند اصغر التلاميذ

٣ — قوله « على رغم انفه واضرابه » عطف على الضمير المتصل المخفوض بدون تاكيد وبدون اعادة الخافض . ولعله يستروح بقراءة « فاتقوا الله الذي تساءلون به والارحام » وما الجأه الى هذا كله وهو فى الاختيار وماقيل هنا يقال فى قوله بعد « فان كلامنا اولا وءاخرا معه واشياعه

٤ — قوله « فمحض كذب واقتراء الذي لايصدر الخ . » وصف النكرة بالمعرفة مع انه يشترط التطابق بين النعت والمنعوت تعريفا وتنكيرا . ويمكن له ان يدعي انه نعت مقطوع على حد قوله تعالى « ويل لكل همزة لمزة الذي جمع مالا » والنعت المقطوع لايشترط فيه التطابق . ولكن ماحمله على هذا وما ورد عليه هنا يرد عليه فى قوله بعد « وينتقصون اسلوب النبوي اللهم الا اذا نوى ال .

٥ — قوله ولسنا نامر الا بطلب علوم الدين حيث وجد وتيسر الاولى حيث وجدت وتيسرت اي العلوم لا الدين لان الكلام عليها »

٦ — قوله « سواء كان فى وطنهم او خارجه » عطف بأو بعد همزة التسوية وهو شاذ والقياس العطف بأم . وعطف بها مفردا على جملة والاكثر

استعمالا عطف جملة فعلهة على مثلها نحو قوله تعالى « سواء عليهم أانذرتهم لم تنذرهم لايؤمنون »

٧ — قوله « فمنهم من تراه مغرما بالقاء — الى قوله — يشحنها بكلمات لايصدقها فعله يحرضون على الاتحاد » الخ . عبر فى الموضعين الاولين بالافراد وفى الثالث بالجمع ومساق الكلام واحد ولو كان من البلغاء لقلنا انه راعى اولا لفظ من وءاخرا معناها مثل قوله « ومنهم من يستمع اليك وجعلنا على قلوبهم أكنة » الآية .

٨ — قوله « فان اللبن الحاصلة من الحرام لابركة فيه» انث وصف اللبن وهو مذكر ولئن بنى على تاويل كان عليه ان يؤنث ضمير فيه ايضا للتطابق ولعله لاحظ جمع لبنة

٩ — قوله « أهذا الخبيث جاهلا جهل مركبا » هذا الخطأ الفاحش فى غنى عن البيان عند اصغر التلامذة وهو يدل على جهل قائله جهلا مركبا

١٠ — قوله « من رد المقالة الكنود» جمع بين ال والاضافة المعنوية ولايصح ان يكون الكنود وصفا للمقالة لما لايخفى ولايرتكب مثل هذا الاجاهل كنود .

اغلاطه اللغوية

١ — قوله « القاها » ان كان معناه نشرها فلا تساعده اللغة وان اراد وضعها فيها فهو من الركاكة بمكان

٢ — قوله « فلوكان هذا البذي يهتبل بكتب مذهبه » لعل معناه يحتفل

بها ولم نجد بكتب اللغة التي بايدينا اهتبل بمعنى احتفل وغاية ماوجدنا اهتبل كلمة حكمة اغتنمها لكنه يتعدي بنفسه لابالباء وعلى كل حال فهو من الغريب الوحشي الذي يتنزه عنه الكتاب فضلا عن قادتهم .

٣ — قوله « ويخلعون بها ربقة العبودية من اعناقهم » اصل اللغة تعدية خلع بمن لابمن يقال خلع نعله عن رجله لامن رجله .

٤ — قوله « وما ياخذون عليهم اجرة على قيامهم عليهم » تعبيره بعلى فى الموضع الاول والاخير خطأ يقال اخذ عنه كذا وقام بامره لا اخذ عليه وقام عليه

٥ — قوله «فكيف ينسب لهذا وامثاله » الاصل الى هذا يقال نسبه اليه لا له وكذا قوله بعد والميل للراحة صوابه الى الراحة ولئن جازت نيابة اللام عن الى فانا لانحسن الظن به هنا لارتكابه ما هو اكبر

٦ — قوله « ويؤثرون ما ينالون الى قوله على تلك المضرة » اي يختارون ويفضلون ماينالونه على تلك المضرة وما معنى اختيار وتفضيل ما ينالونه عليها يا ترى ؟ ولوقال ويؤثرون ماينالونه على دفع تلك المضرة عنهم وجلب المصلحة لهم لظهر معناه

٧ — قوله « التهاجهم بانشاء وقوله بعد انعجنت طينته » لم يسمع فى اللغة افتعل من لهج ولاانفعل من عجن وانما سمع الهج به وتعجن .

٨ — قوله « فان هذا يورث لهم الازدراء بهم » اورث يتعدى بنفسه

الى مفعولين لا بالباء كقوله « من عمل بما علم اورثه الله علم ما لم يعلم » وتعديته باللام خطأ.

٩ — قوله « من احتقار كل من يسلك سبيلهم ولم يحد على منوالهم » اما من حاد عن كذا مال عنه او حاذ بالذال المعجمة على الشيء حافظ عليه وهو فاسد على الاول ومتناقض على الثاني فما معنى احتقار من يسلك سبيلهم ولم يمل عن منوالهم او يسلك سبيلهم ولم يحافظ على منوالهم وكذا ان كان من حدا

١٠ — قوله « من السعي فى اجتماعها » اجتمع مطاوع جمع وهو انما يحصل بعد الجمع لاقبله فالصواب ان يقول فى جمعها وكذا فى نظائره

١١ — قوله ومنها القاء بذر فتنة شعوب وطنهم » على وزان — حمامة جرعى حومة الجندل اسجعي — انظر ما وجه اضافة فتنة لشعوب وما وجه اضافة شعوب لوطنهم وهل لوطنهم شعوب كثيرة ؟ على ان الشعب لغة هو الطبقة الاولى من الطبقات الست وهي الشعب والقبيلة والعمارة والبطن والفخذ والفصيلة فالشعب يجمع القبائل والقبيلة تجمع العمائر . والعمارة تجمع البطون والبطن يجمع الافخاذ والفخذ يجمع الفصائل وهل يتحقق فى وطنهم شعب واحد بجميع معنى الكلمة فضلا عن الشعوب الكثيرة التي يرشد اليها جمع الكثرة . على ان قوله بعد : فكيف بمن جمعه معه التوحيد والمذهب والشعب يرشد الى ما اشرنا اليه . وقوله هنا : شعوب وطنهم . وقوله هناك : امتهم الوطنية . فى غاية الركاكة والسخافة .

١٢ — قوله « فلعن الله واقد نار الفتنة » عبارته توهم ان وقد يتعدى بنفسه وهو خطأ وانما يتعدى بالهمزة يقال اوقد فلان النار ولايقال وقدها قال تعالى « كلما اوقدوا نارا للحرب اطفأها الله » فكان عليه ان يقول فلعن الله موقد نار الفتنة كما فى خبر — الفتنة نار لعن الله من أوقدها —

١٣ — قوله « حق الآمر بالشيء ان يتأمر به اولا » يتأمر معناه لغة يتسلط ويتحكم وهو لايساعده وانما يلائمه « يأمره » بالتاء بعد الهمزة وبدون الباء بمعنى يمتثله

١٤ — قوله « ولم يتجاوز فيها على ما روي » صوابه ولم يتجاوز فيها ما روى باسقاط على لانه يتعدى بنفسه

١٥ — قوله « وازدهى بحاله » يقال ازدهاه حمله على الزهو اي العجب لا ازدهى به فتعديته بالباء خطأ

هذا شيء قليل من كثير ومما تقدم يظهر للقاري الفاضل ما عليه الرجل من الجهل بالعلوم العربية الاسلامية ويستنتج منه مقدار جهله ايضا بسائر العلوم وذلك مما يتحاشى عنه اطفال المسلمين وصغار المبتدئين فضلا عن « قدوة العلماء العاملين المقتفي ءاثار السلف الصالحين ومنار الدين » الخ ! فليتنبه الغافلون والمتغافلون وليصونوا اسلافهم من تدنيس الجاهلين .

٣ أراجيفه وأكاذيبه

يرى القاري الكريم ما اشتملت عليه من الاراجيف والاكاذيب والافتراءات على نحو ما يأتي

١ — ادعاؤه زوراوافتراء اننا انكرنا اسلوب النبي صلى الله عليه وسلم وفضلنا عليه غيره لما دعوناه الى تحسين حالة تعليمه اليوم وانتقدنا اسلوكه واسلوبه هو وكذلك ادعاؤه أن اسلوبه العقيم هو اسلوب النبي صلى الله عليه وسلم « استغفر الله » حسبما سمعته

٢ — ادعاؤه اننا نزدري بكتب المذهب الشريف وباسلافنا الكرام ونحن اهد تمسكا بهم منه وتعززا وابر اخلافا لهم منه لما علمت من قبل .

٣ — حكايته عنا كذبا من الخرافات ما يشتم منه رائحة الاستخفاف بهم وبعلومهم وقد رايت بيان كذبه

٤ — زعمه اننا نفضل على علوم الشرع ما ليس من الشرع مع اننا لم نخرج عن اصول الدين وفروعه ومقدماته ومتمماته

٥ — تغليطه باننا نلقي فى قلوب الصبيان والاحداث ما ينقص فى نظرهم من شان الاسلاف ونحن بالعكس نشرح لهم من اعمالهم الجليلة وسيرهم الحميدة وءاراءهم السديدة ومعتقداتهم الصحيحة ما يعظمونهم به ويجلونهم ويتفاخرون بالانتساب اليهم ويشمخون بمجدهم وشرفهم ويرونهم خير اسلاف لخير اخلاف الى غير ذلك مما يترك فى النفوس اثرا حسنا وقدوة مثلى .

٦ — تمويهه بقضية رمضان وايماؤه بها على وجه الايهام الى احداث حدث فى الاسلام ونحن برءاء من ذلك كما علمت .

٧ — ايهامه اننا انكرنا معراج النبي صلى الله عليه وسلم وسد ياجوج وماجوج . وكرامات الاولياء افتراء كما علمته

٨ — ارجافه باننا اتخذنا مشروع التعليم متجرا نسترزق منه وان غرضنا هو جمع الحطام وبيع الدين لمصلحة ذاتية وقد رايت ما فيه

٩ — حكايته عنا تحليل بعض صور الربا والبيوع المنفسخة وأنواع الظلم والاعتداء ظلما واعتداء

١٠ — تلبيسه باننا ندخل فى قلوب الاولاد ما يفسد اعتقادهم واخلاقهم وتنشيئهم على التعصب الجاهلي الذي ينشئ عنه تلامذته ويملأ به دروسه واننا نحفظهم اشعار السخف والمجون والهذيان وقد سمعت فساده

١١ — افتراؤه اننا ننشد القصائد للاعيان طلبا للرزق والجاه حتى حرمنا ذات مدة وخسرنا الدنيا والآخرة .

١٢ — تضليله وتدجيله اننا كذبنا عليه ما شاع عنه وذاع فى ملاء من الناس مع اننا لم نحك عنه الا جزءاً يسيراً من حقيقة واقعة .

هذه نبذة من اكاذيبه وافتراءاته ويتساءل القاري الكريم عما حمله على هذا كله وهو يدعي انه الزاهد الناسك قدوة العلماء العاملين الخ .؟

نقول له مهلا ايها الاخ لاتغتر بهذه النعوت التي لحمتها التدجيل وسداها التمويه

والتضليل حمله على ذلك خبث النفس والحسد الممقوت والغرض الدني يحاول بذلك اسقاط سمعتنا وتلويث اعراضنا حتى يهدم بهدمها ويفسد بافسادهما مشروعنا العلمي المبارك الذي رءاه خطرا على مركزه ونفوذه ولكن اني له من مناط الثريا وهل تدفع الشمس كف شلاء ؟ فليهنأ ذلك الابله بالا فما هو بأول ساور غره قمر أو رائد أعجبته خضرة الدمن ! فالعلم علم والجهل جهل والنور نور والظلام ظلام والحياة حياة والموت موت رضي ام كره .

٤ فكرته - تتجلى فيما يلي

هي انه يرى ان كل قديم من الدين وكل جديد ليس من الدين فمهما حاول المصلحون اصلاح القديم وارجاعه الى حالته الفطرية الاولى ملأ الدنيا صراخا وعويلا بان هذا كفر وضلال . ومتى حاولوا اضافة شيء جديد يحث الدين على البحث عنه وتوجبه التطورات الاجتماعية ملأ الفضاء جلبة وضوضاء بان هذا اشتغال بما لايعنى وميل عن الدين واهله الى علوم اليونان وفلسفتهم « ولكنه يخفت صوته ويضأل صداه عما يقع خلفه وامامه ويمينه وشماله من الخمور والفجور والخيانة والعبث بالحريات العامة والخاصة » وان لم تقتنع الامة النبيهة بذلك الصراخ والعويل والجلبة والضوضاء تذرع باراجيف واكاذيب يلفت نظرها اليه ويصدها عن اولئك المصلحين فحاله معهم امام الوطن المسكين كحال ولي جاهل غبي لصبي مريض مع ولي له آخر طبيب حكيم لا انه يرضى منه بان يقطع عضوه العليل ولا بان يشربه الادوية

الناجعة القاتلة لجراثيم العلة الفتاكة لانه يتوهم بجهله وغباوته ان فى ذلك موته وهلاكه » ويرى ان حياته فى ابقاء ذلك على ما كان عليه والموت فى تحوير شيء من ذلك فيستغني بجهله تاركا له يتقلب على فراش المرض « متوكلا على الله فى زعمه » الى ان يموت ضحية الجهل والغباوة .

تلك هي فكرة الرجل فهل تطابق فكرة السلف الصالح رحمهم الله وسيرهم « وهو ممن يقتفي ءاثارهم فى زعمه » وهي مثل الصدق والاخلاص والتواضع والانصاف والغيرة وتضحية المصالح الخاصة فى سبيل المصلحة العامة واحقاق الحق وابطال الباطل ومجانبة السفهاء والمريبين وجوب البلاد لطلب العلوم والمعارف وسرح العقل فى الملكوت للبحث والنظر ولستخراج فوائد الكون لتحسين حالتها الدينية والاجتماعية والذود والدفاع عن الدين والملة والوطن

٥ النقط التى عليها مدار الخلاف

تتلخص للقاري فى الاسئلة الاتية

١ — هل يقوم امر الدين بغير اصلاح الدنيا « والدنيا مطية الاخرة » ؟

٢ — ما حكم علم الاجتماع وفلسفة الكون والتاريخ والجغرافيا والطبيعة والكيمياء والهندسة والحساب والجبر وتعلم اللغات ونحوها فى نظر الشرع ؟

٣ — هل يقع اصلاح الدنيا بغير ضميمة تلك العلوم ؟

٤ — اين تتعلمها ؟ وعند من ؟

٥ — هل نحن فى حاجة الى اصلاح حالة تعليمنا وتوسيع نطاقه ؟

٦ — على اي اسلوب يكون ؟

٧ — هل كان الرسول صلى الله عليه وسلم يجلس امامه التلميذ فيقرأ عليه من الكتاب جلة اثر جلة فيفسرها له كذلك

٨ — من يروم توسيع نطاق التعليم وتطبيقه على الظروف « لان كل شيء في هذا الكون هو داخل تحت تأثير التطور والارتقاء وبقاء الانسب ومتى تمخضت الحقائق عن شيء كان الاخذ به عزما على الباحثين والحاق ما سلف بالتاريخ » فهل يكفر ويعد مخالفا لاسلوب الرسول صلى الله عليه وسلم ؟ «اللهم الا في نظر المتهوسين »

٩ — ما هو السن الذي يجب للتعليم ؟

١٠ — هل كل فلسفة مفسدة للعقائد « والقرءان طافح بأحسنها واصحها » ؟

هذه اهم نقط النزاع . ونحيل القاري الكريم في الجواب عنها على ذكائه وانصافه وعلى ما استفاده من خلال كتابتنا ثم نفوض اليه الحكم ونحن مستعدون بكل ارتياح للرضوخ الى حكمه البات

هذا ما تيسر لنا تحريره خدمة للحق وايضاحا للحقيقة واتقاذا لها من شبه المريبين وضلال المموهين وفقنا الله وسدد خطانا الى خدمة ديننا المفدى ووطنا العزيز والنهوض بامتنا الكريمة الى ما يعود عليها بالعز والاسعاد في المعاش والمعاد وصلى الله على سيدنا محمد وءاله



أ

فهرسة الكتاب

٢ تمهيد في بيان الطور الاول لظهور الاديان الخ

٤ مقدمة — حاجتنا الى العلوم

٥ تاريخ نهضتنا العلمية

٦ الفنون التي نزاولها

٦ وظيفة الرقباء

٧ نتيجة ذلك

٧ ماذا كان في مقابل ذلك

١٠ بيت القصيد في اغلاط الرجل ودفعها

١٣ افضلية العلم على الجهل الخ

١٤ راي الرجل في العلوم التي نزاولها الخ

١٧ الفلسفة المذمومة والممدوحة

٢٠ العلوم التي بها قوام الدين والدنيا

٢٣ مدرك تلك العلوم من القرءان والسنة

٢٥ جناية رؤساء الدين على الدين

٢٨ راي الشيخ اسماعيل في الفقه

٣٠ اجلالنا لاسلافنا الكرام

٣١ نبذة في فضل الفصاحة والبيان

٣٢ الاسلوب الذي نطلبه
٣٣ توجيه الانتقاد الى اسلوبه خاصة
٣٣ الفرق بين اسلوبه واسلوب النبيء (صلعم)
٣٦ معنى ازدياد اسلوب التعليم تحسنا
٣٨ من يجب ان يشن عليه المخلص الغارة
٣٩ سؤال
٤٠ تفنيد مزاعمه
٤١ اعترافه بالاسلوب العصري
٤٢ حكمه على الولد والوالد والمعلم بالضلال
٤٤ معنى ارشاد الرجل الناس الى العلوم الشرعية الخ
٤٥ تفنيد زعمه ان تعلم الانشاء والفصاحة مخالف للحديث
٤٧ معنى الفقه المطلوب
٤٨ من هم الفقهاء والخطباء
٤٩ دفع الشبه التي الصقها بنا
٥١ ماهو الافضل أ الاقتصار على حفظ القرءان الخ
٥٢ معنى قوله تعلى فلولا نفر من كل فرقة الآية
٥٤ اعترافه معنا باغراض الاسلاف في السفر
٥٨ الفنون التي كانوا يزاولونها
٥٨ ماقاله في النيل
٦٠ دفع جعله العلوم التي تتدارسها انا الخ

٦١ تفنيد بعض مزاعمه
٦٣ مبحث فيمن زهد في رواية الشعر
٦٦ تفنيد بعض مزاعمه
٦٩ معنى تحذيره الناس ونصحه لهم
٦٩ جعله العلوم العصرية بدعا واهواء
٧١ جعله قبولنا الاحداث اعتصاما بحبل الله الخ
٧٥ سرد بعض ما اتخذه سلاحا من الفاظ الشتم الخ
٧٧ ما انتجه رده
٧٩ قصيدة للمؤلف
٨٣ خاتمة — متنا قضات الرجل
٨٦ اغلاطه النحوية واللغوية
٩٢ اراجيفه واكاذيبه
٩٤ فكرته
٩٥ النقط التي عليها مدار الخلاف

جدول الخطا والصواب

صحيفة	سطر	خطا	صواب
٧	١٨	تترقرق	يترقرق
١٤	٣	وشاشق	وشقاشق
١٨	٣	مشغلة	شاغلة
٢٠	١	الحيا	الحياة
٢١	٢	لاخلف	لاخلق
٢٤	٥	لآية	لآيات
٢٤	٧	لاية	لايات
٢٤	١٥	الخالقون	الخالقون
٢٨	١٢	دارا	زادا
٣٠	٣	مثله	منه
٣٤	١٥	القرون	القرون
٥٢	٣	الكويم	الكريم
٧٦	١٠	ومكاثه	ومكانه
٧٨	٥	وامثااله	وامثاله
٨١	١	غير	خير
٨٣	١٢	قيل	قبل
٨٨	١	فعلهه	فعلية
٩٣	١٣	مدة	مرة